السنة العاشرة العدد ١ ١ كانون الثاني سنة ١٩٠٧

# المشرق

## حوادث السنة الغابرة

نظرة للاب لويس معلوف اليسوعي

هو العمر تتوالى سنوهُ بما فيها من الحوادث المتنوعة تتباين في نعيمها وبؤسها وتختلف في كل احوالها واطوارها ولا تكاد تتماثل الّا في كونها مظاهر الجود الالهي عند من فقه نظام هذا الكون وتدابير الحكمة الصمدانيَّة في شؤون العباد فنسرد ما همَّ منها شاكرين الرحمة الالهيَّة وطالبين من فيض نعمها ان تبعد الشرور وتزيد الخيرات وتوطد الامن والراحة في كل انحاء المعمور

### الدولة العليَّة

انصرفت عناية المتبوع الاعظم بنوع اخص في هذه السنة الماضية الى ما يزيد البلاد ثروة والرعيَّة راحةً والاشغال التجاريَّة رواجاً. ومن تأمل في حالة الممالك المحروسة ونظر الى الاعمال الجارية في انحائها والمشروعات المختلفة التي تبحث الشركات فيها وتحاول اخراجها من حيز الدرس الى حيز العمل بتوفيق الباري ومدد ولي النعم تأكد ان البلاد السلطانيَّة قد دخلت في طور جديد وها ان عيون الآمال قد تفتحت على ارجائها ويد الجدّ والاستثمار قد جالت في اراضيها دانيها وقاصيها . تلك الاراضي التي كانت في غابر الزمان يُضرب بخصبها المثل قد صارت امانينا وطيدة في ان تعود عن قريب تدرُّ على العباد غزير الدر ووافر الخير وكل ذلك من آثار وتوفيقات الذات الشاهانيَّة تخلد لها على صفحات التاريخ وفي قلوب الرعيَّة ذكرًا جميلًا لا يمحى

وقد أُجريت الاعمال بجد ونشاط على الخطوط الحديديَّة المختلفة فاتصل خط الحجاز الى ما وراء الستمائة والخمسين كيلومترًا وقد لشترت الحكومة السنيَّة خط حيفا وصيَّرته

فرعاً لخط الحجاز وهكذا زادت اهمية هذا الخط لاتصاله بالبحر المتوسط . اما خط بغداد فقد أكمل فيه نحو من مائتين وخمسين كيلومترًا ولا تزال الهمم منصرفة الى تذليل ما في جبل طورس من المصاعب والعقبات

وقد وصلت السكة الحديدية بين بيروت والشام وحلب فاصبحت العلائق بين اهم مدن سورية سهلة جداً فنجم عن ذلك رواج لم يعهد سابقاً في عالم التجارة والصنائع وسائر المعاملات وزادت حركة المرافئ والاسواق وارتفعت اسعار الاراضي وزادت عناية القوم في تحسين الزراعة وايجاد احسن الطرق لاستثمار الاملاك واتجهت الافكار الى المعادن والمناجم لاستنباط كنوزها والكشف عن دفائنها

وقد تواترت الاوامر من دوائر الحكومة السنيّة الى الولايات بالسهر على حفظ الاحراج والسعي في توسيع نطاقها ومن هذه العناية السلطانيّة يرجى ايضاً تحسن عظيم في اراضي الممالك المحروسة

## الكرسي الرسولي

في بدء السنة الغابرة نشرت حكومة الفاتيكان كتاباً ابيض ضمّنتهُ المراسلات الرسميّة التي تبودلت بين الكرسي الرسولي وحكومة فرنسة قبل قطع العلاقات بين الدولتين . ومن هذه المراسلات والمخابرات يظهر جليًا ان المسئوليّة في هذا الحادث الهام والضار انما هي على الوزارة الكومبية التي أبدت نحو الحبر الاعظم وممثليهِ وفي المسائل الدينيّة من التطرُّف والتهور وامتهان الحقوق ما لا يدع سبيلًا للريب عند من اراد معرفة الحقائق في ان بيوس العاشر قد سعى كل السعي وحاول ما استطاع لابقاء العلاقات الحسنة بين الكرسي الرسولي وفرنسة

ثم ان الحبر الاعظم قد ارسل بعدئذٍ رسالة الى اساقفة فرنسة اعرب فيها عن ان حقوق الله وحقوق الكنيسة وحقوق الطبيعة الانسانيّة تقضي بعدم الرضوخ لقانون فصل الكنيسة الذي كان ألّفهُ المسيو بريان وسعى في حمل مجلس النواب على قبولهِ والمصادقة عليهِ . فقوبلت تعاليم واوامر بيوس العاشر بكل الاحترام والطاعة والسرور واتحدت قلوب الشعب مع قلوب الاساقفة في عاطفة الاتحاد التام لما قررهُ نائب المسيح في حبهِ وحكمتهِ ورضوا ان يفدوا بالنفس والنفيس شرف ايمانهم وحقوق كنيسة الله

وقد استصوب حكمَ البابا وامتدحهُ العدد العديد من الحكماء ومشاهير الكتبة ممَّن لم تُغوهم الاهواء الكفريَّة وكذلك تواردت من جميع انحاء المعمور مراسلات الثناء على كاثوليك فرنسة وما اظهروهُ من علوّ الهمة وصدق التفاني في الدفاع عن ايمانهم

ومن منتصف شهر كانون الاول اخذت الحكومة الافرنسيَّة تنفذ هذا القانون العداني الاضطهادي فقفلت الكنائس وطردت الاساقفة من كراسيها واعملت برهط الكاثوليك اشد الضغط

فما كانت هذه الحوادث المحزنة الَّا لتسحق قلب ابينا الحبر الاعظم وتجري دموعهُ وقد عبَّر عن اسفه وحزنه لما حصل في فرنسة بخطاب القاهُ في مجمع الكرادلة الاخير

على ان قداستهُ اذا نظر الى سائر الممالك واجال فكرهُ في احوال العالم الكاثوليكي رأى دواعي تعزية عظيمة فان الكنيسة لله الحمد تتمتَّع بالراحة والامن في اهم الممالك والاقطار

اما اوربَّة ففي انكلترة لا شيء يعيق انتشار الدين الكاثوليكي . والرهبان الذين تركوا فرنسة يجدون فيها كل حفاوة وكل تسهيل لاتمام اعمالهم الخيرية الصالحة . وفي المانية يُظهر الامبراطور شديد الاكرام للحبر الاعظم وعواطف المسرَّة والرضى لكاثوليك مملكته المقتدرة . وان الانسرار عظيم في الدوائر الڤاتيكانيَّة من حالة الكثلكة في المانية وللكردينال كوپ المشهور بدرايتهِ في تفكيك المشاكل بعض الفضل في وجود هذه العلاقات الحسنة . وفي ايطالية يغتنم رجال الدولة الفرص لاظهار احترامهم لنائب المسيح وقد جاهر البعض من كبراء ساستهم انهم لا يرون من الحكمة الاقتداء بسواهم في مسّ العواطف الدينيَّة والضغط على الضمائر . وقد حاز الكاثوليك في هذه الدولة فوزًا عظيمًا في مواقف انتخابية عديدة لاسيما في الانتخابات البلديَّة . وفي روسيَّة قد اخذ الشعب في الظروف الحاضرة يميل الى الكنيسة الكاثوليكيَّة والذين دخلوا في حضنها هذه السنة يُعدُّون بالالوف . كذا قل عن بلاد النروج التي تردهر الكثلكة فيها الآن ازدهارًا يُذكر وقبلًا ما كنت تجد فيها الَّا افرادًا من الكاثوليك وقد اراد ملكها الجديد هاكون ان يؤدي للكرسي الرسولي فائق احترامهِ في اوَّل تبوُّئهِ على عرش وطنهِ واعلن بانتخابهِ للحبر الاعظم كما اعلنهُ لسائر الدول رسميًّا . ومثلهُ

ملك اليونان الذي اظهر في زيارتهِ الاخيرة للفاتيكان ما في قلبهِ من محبَّة الكرسي الرسولي وعدم تعرُّضه بشيء لتعزيز الدين الكاثوليكي في بلادهِ

امَّا خارجاً عن اوربَّة فان الحبر الاعظم يرى الكنيسة الكاثوليكيَّة تمتدّ بسلام وتزداد مساعيها الخيريَّة نجاحاً وانتشاراً . وممَّا يحق ذكرهُ ان حكومتي كولومبية والبيرو قد اتفقتا على تحكيم الكرسي الرسولي في جميع المنازعات التي تقع بينهما وان البرازيل قد حصل فيهِ من لدى الحكومة حفاوة عظيمة بالكردينال البرازيلي الاول الذي حصل لهُ لمَّا عاد من رومية استقبال باهر لم يجرِ لهُ مثيلٌ في ماضي تلك الاقطار وكان ارباب الامر قبل ذلك ابطلوا سنَّة مشئومة قضت بنزع الصليب من المحاكم فأُعيدت الصلبان المقدَّسة الى مقامها بحفلات عظيمة حضرها الالوف المؤلفة

وقد اراد الكرسي الرسوليّ اغتنام ما يبديهِ اليابان من الرفق لايلاء البشارة بالايمان في تلك البلاد نهضةً جديدة وقد حظي المطران اوكونل المبعوث اليابادي بمقابلة حسنة من قبل الميكادو ورجال سياستهِ

هذا وان ما يزيد في تعزية قلب الحبر الاعظم ما قد تألَّف في هذه السنة من المؤتمرات الكاثوليكيَّة في انحاء مختلفة في فرنسة والمانية وسواهما التي جاهر فيها عظماء الرجال على اختلاف مشاربهم بحسن تعلقهم بخلف المسيح وبشديد عزيمتهم على الاستنارة بتعاليم الكنيسة المقدَّسة في حوادث هذا الدهر وتقلباته (لهُ بقيَّة)

---

# عيد الدَّنْح

نظر لحضرة القس بطرس نصري الكلداني

نحن معشر النصارى نعتقد ان يسوع المسيح هو كلمة الله الذي بهِ أبدع كلَّ شيء من العدم الى الوجود . وهو الذي لاجل خلاصنا تجسَّد بقوَّة الروح القدس في احشاء مريم العذراء . فظهر الى العالم مثلنا في طبيعتين الهيَّة وبشريَّة قائمتين في اقنوم واحد وهو كلمة الله . وبعد ولادتهِ في مغارة بيت لحم كما تنبَّأ عنها الانبياء ظهر الى العالم بوسائط مختلفة وخاصَّةً على يد المجوس الذين وافوا من المشرق ليسجدوا لهُ . وقد وصلوا الى بيت

لحم واكملوا شعائر عبادتهم في اليوم الثالث عشر من ولادتهِ . وهو اليوم للذي نعيّد فيهِ عيد الدنح من الكلمة الكلدانية (ܕܢܚܐ) اعني الظهور والكشف والاعلان . ويقابلها في اللغة اليونانيَّة كلمة Επιφάνια التي جرى استعمالها لدى كل الطوائف الشرقيَّة

وقبل الشروع في الكلام عن هذا البحث علينا ان نعتبر ان الشرقيّين قاطبةً يعيّدون في مثل هذا اليوم عيد عماد يسوع المسيح على يد يوحنا المعمدان . وذلك لان المسيح ظهر علنًا يوم عمادهِ للعالم كما قال يوحنَّا المشار اليهِ عن المسيح (يو ١ : ٣١) : « لكي يُعلَن في اسرائيل لذلك أتيتُ لاعمّد بالماء » . وكلا الامرين راجع الى غاية واحدة . لان الشرقيّين انما يعيّدون في عمادهِ ظهورهُ العلني والغربيين ظهورهُ الخفي بعد ميلادهِ (١ . وسبب ذلك انَّ لاهوت المسيح كما نرى لم يُعلن للجميع في اثناء ولادتهِ بل كان يجب ان يختفي تحت حجاب طفوليَّته . ولكن لمَّا بلغ الى العمر الكامل الذي فيهِ كان يجب ان يعلّم ويذر الناس ويجترح المعجزات قد اعلن يوم عمادهِ شهادة الآب الذي سُمع صوتهُ قائلًا (متى ٣ : ١٧) : « هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررتُ لهُ اسمعوا » . وبذلك اضحى تعليمهُ اكثر تصديقًا . وعليهِ قال المسيح (يو ٥ : ٣٧) : « الآب الذي ارسلني هو يُعطي شهادةً عني » . وبعد هذا التمهيد الوجيز علينا ان نرى خصائص هذا العيد او ظهور المخلّص الفادي للعالم وظروفه باعتبارهِ الخفيّ والعلني

## ١

فنقول ان المسيح في ولادتهِ لم يظهر نفسهُ بذاتهِ علنًا للجميع بل ظهر في كلّ شيء شبيهًا بسائر الاطفال الذين لا يُظهرون انفسهم في اثناء ولادتهم عينها لان ولادة المسيح انما كانت مرتبةً لخلاص البشر الذي يُنال بالايمان . ومعلوم ان الايمان الخلاصي يعترف بلاهوت وناسوت المسيح معًا . فوجب ان يُعلن ميلاد المسيح بحيث لن يبان لاهوتهِ لا يُجحف ويضرّ بالايمان بناسوتهِ . ولذلك لم يصطنع المسيح اعجوبةً ما مع قدرتهِ على الامر قبل ان يبلغ العمر الكامل لئلّا يظنّ الناس ان تجسدهُ كان خياليًا . واوّل اعجوبةٍ اجترحها هي تحويل الماء الى خمر كما يُقرأ (يو ٢ : ١١) : « هذه الآية الاولى

---

١) وفي اليوم عينهِ تذكر الكنيسة ظهور ابن الله لتلاميذهِ لمَّا اصطنع آيتهُ الاولى في عرس قانا الجليل وحوّل الماء خمرًا فآمن بهِ تلاميذهُ (يوحنَّا ٢ : ١-١١)

صنعها يسوع » . وقد تمَّ ذلك بحكمةٍ الهيَّة اذ يَلِق للسيح ذاته شبيهاً في كل شيء بالطبع البشري . ولذلك لم يُعلن المسيح ميلادهُ بذاته وانما قد اظهر قوَّة لاهوتهِ بخلائقهِ كما سترى

ألّا ان ولادة المسيح لم تظهر للجميع كما تنبَّأ اشعيا (٤٥: ١٣) قائلاً: « انك حقيقة اله مختفٍ » . وقد برهن ذلك مار توما بقولهِ (٤: ٣٦: ١) « ان اظهار ولادتهِ للجميع كان يمنع ثمرة الفداء البشري الذي تمَّ بالصليب كما قيل (١ قو ٢: ٨): « لو عرفوا لما صلبوا ملك المجد » . ثم لأَن ذلك لما ينقص استحقاق الايمان الذي اتى ليبرّر بهِ الناس كما قيل (رو ٣: ٢٢): « بِرّ الله بالايمان في يسوع المسيح » . لانهُ لو أُعلن ميلاد المسيح للجميع في اثناء ظهورهِ على الارض بادلَّة واضحة لرفع اعتبار الايمان الذي « هو برهان غير الظاهرات » كما قيل (عبر ١١: ١) . واخيراً لانهُ بذلك يوقع الشك في حقيقة ناسوتهِ . لانهُ لو لم يجرِ مجرى غيره من البشر منذ طفوليّتهِ الى شبوبيّتهِ ولم يأخذ قوتاً لم يذق نوماً أَلّا كان يؤيّد بذلك الضلال فيُظنّ انهُ لم يتَّحد قط بالجسد . ولو صنع كل شيء بنوعٍ عجيب لانتقض ما صنعهُ برحمتهِ كما قال مار اوغسطينس

ومع ذلك يجب القول ان ميلاد المسيح قد كُشف لبعض الناس . والّا لكان عبثاً قد وُلد المسيح إذ لو بقيت ولادتهُ خفيَّة لما استفاد الناس منها شيئاً . على ان الاشياء الصادرة من الله هي كلها مرتَّبة . ومعلوم ان من شأن ترتيب الحكمة الالهيَّة ان لا توزّع مواهب الله واسرار حكمتهِ على الجميع على السويَّة بل على بعضٍ بادئ بدء . ثم تتصل بهم الى غيرهم . وهكذا قد تمَّ في سرّ القيامة كما يُقرأ في اعمال الرسل (١٠: ٤١): « اقامهُ الله واعطاهُ ان يظهر لا للشعب كلهِ بل لشهودٍ اصطفاهم من قبل » . وقد حُفظت هذه القاعدة ايضاً في سرّ الولادة اي ان لا يُعلَن المسيح للجميع بل للبعض وبواسطة هؤلاء قد اتصلت معرفتهُ للغير . وان قيل انَّ اظهار ولادة المسيح ولو للبعض انشأ اضطراباً في اورشليم واضراراً للغير اذ قتل هيرودس في هذه الفرصة اطفال بيت لحم فهذا لا يخالف تصرُّف حكمة الله . لان الاضطراب الناتج من اعلان ولادة المسيح كان لهُ أحسنُ وقع في اثناء مولدهِ لاسبابٍ . منها ان تُعلن وظيفة المسيح السماويَّة ومقامهُ العالي اذ اخزى مفاخر كلّ علوٍ ارضي باضطراب مالك الارض في اثناء ولادة ملك السماء . ثم لكي يُشار بذلك الى سلطة

المسيح ديّان العالم. قال مار اوغسطينوس: « كيف يا ترى يكون منبر الديّان مع انَّ مهده وهو طفلٌ قد ارعب الجبابرة المتكبرين ». واخيرًا لانهُ يُشار بذلك الى سقوط مملكة الشيطان ولذلك قال مار لاون البابا في احد ميامر الدنح: « لم يضطرب هيرودس فقط في نفسهِ بل بالحري اضطرب الشيطان في هيرودس. لان هيرودس كان يعتبر المسيح انسانًا ارضيًا اما الشيطان فكان يعرفهُ الهًا. وكلاهما كان يخاف على التخلّف في ملكهِ. الشيطان على الملك السموي. وهيرودس على الملك الارضي ». وكان خوف هيرودس باطلًا. لان المسيح لم يأتِ ليملك على الارض كما قال هو عن نفسهِ. اما اضطراب يهود اورشليم مع انهُ كان يجب ان يفرحوا بولادة مخلّصهم المنتظَر فقد فعلوا ذلك موافقةً ومجاراةً لهيرودس الذي كانوا يخافونهُ. ولا سيما لان الاشرار لا يفرحون بمجيء الصدّيق كما قيل عن المسيح (يو ١: ١١): « الى خاصّتهِ جاء وخاصّتهُ لم تقبلهُ ». ثم ان قتل اطفال بيت لحم لم يؤدِ الى ضررهم بل الى منفعتهم. ومن المستبعد عن الصواب كون المسيح الآتي لخلاص البشر لا يفعل في اثناء ولادتهِ شيئًا لمكافأة الذين قُتلوا من اجلهِ مع انهُ صلّى حينما كان معلّقًا على الصليب من اجل الذين قتلوهُ وجذب اليهِ كل شيء.

ولنرَ الآن لمن قد أُعلنت ولادة المسيح. فنقول ان الخلاص الذي كان مزمعًا ان يتمَّ بالمسيح انما كان مختصًا بجميع الناس على اختلاف محلّهم وحالاتهم. كما قال الرسول (قول ٣: ١١): « ليس في المسيح ذكرٌ او انثى ولا أُمي او يهودي ولا عبدٌ او حرٌ ». ولكي تسبق الاشارة الى ذلك ولادة المسيح نفسها قد أُعلن لبعض الناس في كل حالاتهم. لان الرعاة هم اسرائيليون والمجوس هم وثنيّون. اولئك عن قربٍ وهؤلاء عن بُعد وكلاهما قد تسابقا الى حجر الزاوية وهو المسيح. لا بل انهُ كان بينهم اختلاف آخر. لان المجوس كانوا حكماء ومقتدرين والرعاة كانوا بسطاء وادنياء. ثم قد أُعلن ايضًا لحالة الصديقين اعني شمعون وحنّة النبيّة. والى الاشرار المرموز عنهم بالمجوس. وكُشف ايضًا للرجال والنساء. لكي يتبيَّن لذي عينين ان ليس من حالة بين البشر نُفيت عن الخلاص بالمسيح

وبعد هذا البحث لنعتبر الوسائط التي تمَّ بها اعلان ولادة المسيح لهؤلاء الناس. فنقول: كما ان البيان المنطقي يتمّ تحقيقًا للشيء بالادلّة او المبادئ التي هي اكثر تصريحًا

كذلك كشف الامور يجب ان يكون بعلامات مألوفة لدى من تُكشف لهُ تلك الامور. ومعلوم انَّ من دأب الصدّيقين ان يتعلّموا بتحريك روح القدس او بروح النبوَّة بدون اظهار العلامات الحسيَّة . امَّا المولعون من الناس بالاشياء الجسديَّة فينقادون بالحسيَّات الى الادراكيَّات. وكان اليهود قد اعتادوا ان يقبلوا الاجوبة الالهيَّة على يد الملائكة. ولذلك اقتبلوا ايضاً الشريعة على يدهم كما قيل (اعمال ٧: ٥٣): « اقتبلتم الشريعة بترتيب الملائكة ». امَّا الوثنيُّون وخاصَّةً علماء الهيئة فقد اعتادوا ان يلاحظوا مسالك النجوم. بناءً عليه لمَّا كان اعلان ولادة المسيح من اهمّ واشرف اعمال الله التي هي كاملة في ذاتها قد أُعلنت ولادة المسيح لشمعون وحنَّة الصدّيقين بتحريك الروح القدس الباطني كما يُقرأ (لو ٢: ٢٦): « سمع من الروح القدس انهُ لا يرى الموت قبل ان يرى مسيح الرب ». اما الرعاة والمجوس الذين كانوا اعتادوا الامور الجسديَّة المحسوسة فقد أُعلنت لهم ولادة المسيح بالمظاهر المنظورة . ومن حيث ان هذه الولادة لم تكن ارضيَّةً محضاً بل سمويَّة من حيث قد وُلد لنا ملك السماء لذلك قد كُشفت لليهود والمجوس بعلامات سمويَّة. لان الملائكة تسكن السماوات والنجوم تزيّنها وبكليهما تُخبر السماوات بمجد الله . الَّا انهُ كان امرًا صوابيًا ان تُكشف ولادة المسيح بالملائكة لليهود الذين كانت رؤيا الملائكة متواترةً لديهم. اما المجوس الذين كانوا مولعين بملاحظة الاجرام السماويَّة فقد أُعلنت لهم ولادة المسيح بالنجم الذي ظهر لهم في المشرق. ولا سيما لانَّ اليهود الذين كانوا يتصرّفون بنور العقل لمعرفة الله قد انذرهم الملاك او الروح الناطق. اما الوثنيُّون الذين رذلوا هُدى العقل فقد توصَّلوا الى معرفة الله لا بالصوت النطقي بل بالعلامات . وكما ان الواعظين المتكلّمين او الرسل قد انذروا الامم بالربّ المتكلّم كذلك العناصر البُكم قد انذرت بهِ وهو صامتٌ غير متكلّم

اما ولادة المسيح فقد أُعلنت على هذا الترتيب . فانهُ قد كُشفت اوَّلًا للرعاة يوم ولادته كما يُقرأ في لوقا (٢: ٨): « وكان في تلك الناحية رعاة يسهرون على رعيَّتهم . واذا بملاك الرب قد وقف بهم ومجد الله قد اشرق عليهم . فقال الملاك : وُلد لكم مخلص وهو المسيح الربّ في مدينة داود ». ثم ان المجوس اتوا الى بيت لحم ليسجدوا ليسوع الطفل في اليوم الثالث عشر (١ من ولادتهِ وهو اليوم الذي يُعيَّد فيهِ عيد الدنح .

١) لم تتّفق آراء الاباء في تعيين زمن مجيء المجوس الى بيت لحم . والبرهان الذي يأتي به

لانهم لو اتوا بعد انقضاء سنةٍ او سنتين لمَا وجدوهُ في بيت لحم. لاننا نقرأ في (لوقا ٢: ٤٠) *انهُ بعد ان اكملوا كلَّ شيء بحسب ناموس الربّ وقرَّبوا الطفل يسوع في الهيكل (بعد اربعين يوماً) رجعوا الى الجليل الى الناصرة مدينتهم*. واخيراً قد أُعلنت ولادتهُ للصدّيقين في الهيكل بعد اربعين يوماً من مولده كما يُقرأ (في لوقا ٢: ٣٨). وسبب هذا الترتيب هو انهُ يُشار بالرعاة الى الرسل وغيرهم من اليهود المؤمنين الذين كُشف اولاً لهم سرّ التجسُّد. ولم يكن بينهم متقدرون كثيرون واشراف كثيرون كما يُقرأ (في ١ قو ١: ٢٧—٢٨) ثم ان ايمان المسيح قد اتَّصل الى عموم الأُمم التي يُشار اليها بالمجوس. واخيراً قد اتَّصل هذا الايمان الى عموم اليهود الذين يُشار اليهم بالصدّيقين. ولذلك قد ظهر المسيح لليهود في الهيكل

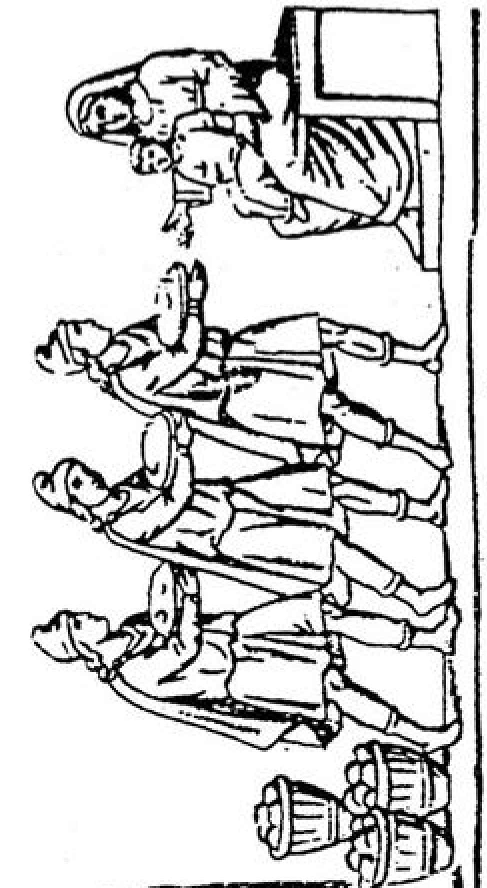
ولترَ الآن كيف عرف المجوس النجم الذي اهتدوا بهِ الى بيت لحم. ومتى ظهر لهم. وما هو طبع او كيان هذا النجم

فنقول ان المجوس قد عرفوا كيان هذا النجم اما من التقاليد المتواترة الابويَّة التي كانوا محافظين عليها. استناداً الى قول بلعام (٨: ١٥) «يشرق نجم من يعقوب». وفي اثناء ملاحظاتهم المتواترة لسير النجوم التي كانوا يرصدونها رأوا هذا النجم الغريب الجنس. فلمَّا عاينوهُ في السماء خارجاً عن النظام العام فهموا انهُ هو المطلوب الذي تنبَّأ عنهُ بلعام بان يكون دليلًا لولادة ملك اليهود. ويسوغ القول ايضاً ان الملائكة أوحوا للمجوس منبّهين اياهم ان هذا النجم يُشير الى ولادة المسيح. وكلّ هذه الاعتبارات لا تبعد عن التصديق من حيث ان كل الصالحين كانوا في ذلك الاوان يلتمسون ببحثٍ جدّي خلاص البشر على يد المسيح المنتظر. فلمَّا رأوا صورة ذلك النجم العجيب في رونقهِ ومنظرهِ اعلمهم نور الحق انهُ لاح للبُشرى بالمسيح

امَّا متى ظهر هذا النجم للمجوس ففي ذلك رأيان. الأوَّل ان هذا النجم قد ظهر لهم سنتين قبل ولادة المسيح. فلمَّا تأملوا فيهِ وتهيَّأوا للسفر بلغوا من انحاء المشرق البعيدة الى بيت لحم وسجدوا للمولود في اليوم الثالث عشر من ولادتهِ. ولذلك نرى

---

* هنا حضرة الكاتب اعني رجوع العائلة المقدَّسة الى الناصرة بعد تقدمة المسيح للهيكل ليس بقاطع. لأنَّ كثيرين يقولون ان العائلة المقدَّسة لم تذهب الى الناصرة الَّا لوقت ريثما تنقل اثاثها وحاجاتها الى بيت لحم فرجعت الى مدينة داود بعد وقت قليل وسكنتها (المشرق)



سجود المجوس للمسيح كما ورد في احدى صور دياميس رومية

ان هيرودس بعد ان لحظ سخرية المجوس به لدى عودهم الى بلادهم . أمر حالًا فقتل اطفال بيت لحم من عمر سنتين وما دون ظانًا ان المسيح قد وُلد حينما ظهر النجم كما سمع من المجوس . وهذا هو مذهب مار يوحنا فم الذهب ومار اوغسطين الملفانين . والراي الثاني الذي لا يبعد عن الصواب هو ان النجم قد ظهر في السماء حينما وُلد المسيح . فتأهب المجوس حالًا لدى رؤيتهم النجم واسرعوا في مسيرهم قاطعين ذلك الطريق الى بيت لحم في ثلثة عشر يومًا بمساعدة العناية والقدرة الالهيّة . وهذا في افتراض انهم اتوا من بلادٍ بعيدة . وقد ارتأى البعض انهم اتوا من البلاد القريبة التي كان منها بلعام الذي كانوا تابعين لتعليمه . وانما يُقال انهم اتوا من المشرق لان ارضهم وبلادهم كانت واقعةً شرقي ارض اليهودية . وبناء على هذا الراي لم يقتل هيرودس اطفال بيت لحم حالًا بعد عود المجوس بل بعد سنتين . إمّا لانهُ قصد رومية ليحامي عن الشكايات التي قُدّمت عليه . وإما لأن اهوال الاخطار قد ازعجتهُ فصدّ عن نية قتل الاطفال في تلك الاثناء . ولمّا لانهُ ظنّ اولًا ان المجوس قد خُدعوا برؤية النجم فاستحيوا ان يرجعوا اليه بعد انقطاع أملهم من وجدان الطفل . ولذلك لم يقتل الاطفال في سنّ السنتين فقط بل ايضًا ما دونهُ . لانهُ تخوّف من ان الطفل الذي خدمتهُ النجوم قد غيّر هيئتهُ فوق او دون سنّه

بقي علينا ان نرى خواص هذا النجم الذي تراءى للمجوس وحقيقة كيانه هل انهُ

كان من جملة النجوم التي تحفظ نظام سُبلها تحت شريعة الخالق منذ بداية الخلقة او انَّ نجماً جديداً ظهر في اثنـاء ميلاد المسيح . فيجيب مار يوحنا فم الذهب في احد ميامرهِ على متّى . « ان هذا النجم الذي ظهر للمجوس ليس هو من جملة النجوم السموية ويتَّضح ذلك من وجوهٍ شتّى : (اوّلًا) انهُ ليس من نجمٍ في نظـام السماء يسير بهذه الطريق . لان هذا النجم كان يتَّجه ايضاً من الشمال الى الجنوب وبالعكس فسار نحو اليهوديَّة من بلاد الفرس او العرب التي اتى منها كان المجوس ثم عاد هؤلاء الى بلادهم بهداية ذلك النجم . (ثانياً) يتَّضح ذلك من الزمان . لان هذا النجم لم يكن يظهر في الليل فقط بل في رائعة النهار ايضاً . وهذا ليس من شأن قوَّة النجوم بل ولا من شأن قوة القمر . (ثالثاً) لانهُ كان تارةً يظهر وتارةً يختفي عنهم . لانهم لمَّا دخلوا اورشليم قد غاب واختفى عنهم ثم لمَّا تركوا هيرودس عاد وظهر لانظارهم . (رابعاً) لانهُ لم يكن لهُ حركة متتابعة ومتَّصلة بل حينما كان المجوس يسيرون كان هو ايضاً يسير دليلًا لهم . ولمَّا كانوا يستريحون كان هو ايضاً يقف في مكانهم . على مثال الغمامة التي كانت تسير في القفر مع بني اسرائيل . (وخامساً) لان هذا النجم لم يبقَ في اعلى السماء مبيّناً محلّ ولادة العذراء مريم بل نزل الى اسفل مظهراً مغارة بيت لحم، لانهُ يقال (متى ٢ : ٩) انَّ النجم الذي رآهُ المجوس في المشرق كان يتقدَّمهم الى ان اتى حيث كان الصبي . ومن ثمَّ يظهر معنى كلام المجوس : رأينا نجمهُ في الشرق . لا كأنهم رأوا النجم موجوداً في ارض يهوذا وهـم في المشرق بل انهم رأوهُ في المشرق من حيث اتوا ثم كان يتقدَّمهم الى بيت لحم . ومعلومٌ انهُ لم يقدر ان يُظهر لهم بتمييز مغارة بيت لحم لو لم ينزل بقرب الارض . وهذا الحادث الغريب ليس خاصاً بالنجم بل بقوَّة عقليَّة خارقة . وعليهِ ذهب بعضهم انـهُ كما نزل الروح القدس على المسيح في اثناء عمادهِ بصورة حمامة كذلك ظهر للمجوس بصورة نجم . وذهب غيرهم ان ملاكاً ظهر للرعاة بصورةٍ بشريَّة ثم ظهر للمجوس بصورة نجم وهو قول بعيد . وارتأى غيرهم رأياً اقرب الى العقل ان نجماً جديداً قد خُلق لا في السماء بل في الهواء القريب الى الارض وكان يتحرك باشارة الارادة الالهيَّة

اما سبب اختفاء النجم عن المجوس لدى بلوغهم الى بيت لحم مع انهُ كان يقدر ان يهديهم رأساً الى حيث وُلد الطفل يسـوع فلم يجرِ دون باعثٍ صوابيّ . وهو ان يلتزم المجوس ان يدخلوا الى اورشليم ويسألوا من كتبة اليهود وعلمائهم « اين وُلد ملك

اليهود (متّى ٢ : ٣) › لكي يقدّم اليهود نفسهم شهادة على ذلك قائلين: « انهُ وُلد في بيت لحم يهوذا كما قال النبي» . فاذا تحقّق المجوس وتأكّد لديهم ذلك بهذه الشهادة المضاعفة اعني شهادة اليهود ودلالة النجم يبذلون مجهودهم بغرام وايمان حيّ في التفتيش عن ملك اليهود الذي اعلنهُ ضياء النجم وسلطة النبوّة . وقد افاد لستفهامهم من اليهود انهم اندروهم معلنين لهم ولادة المخلّص الذي طالما كانوا ينتظرونهُ . وبذلك تتمّ نبوّة (اشعيا ٢ : ٣) : « من صهيون يخرج النور وكلمة الرب من اورشليم » . وبسعي المجوس يرتب اليهود الذين يُشبّهون بنجّاري سفينة نوح الذين اشتغلوا لخلاص غيرهم من الطوفان وهم لم يقدروا ان يخلّصوا انفسهم منهُ

وعلى خلاف ذلك نرى المجوس يدخلون مغارة بيت لحم يؤدّون للطفل يسوع الاكرام الواجب لمقامهِ السامي ويؤمنون بدون خلل وضلال بدليل الهدايا التي قدّموها لهُ كما قال اشعيا (٦٠ : ٣) : « تسير الامم بنوركِ والملوك في ضياء إشراقكِ » . وصاحب المزامير (٧١ : ١٠) : « ملوك ترشيش والجزائر يحملون اليهِ الهدايا . ملوك شبا وسبأ يقرّبون اليهِ العطايا » . وبالحقيقة ان المجوس هم باكورة الشعوب التي تؤمن بالمسيح وفيهم تظهر كما في مرآةٍ حقيقة ايمان وعبادة الامم التي سوف تعود الى حضن كنيسة المسيح وكما ان ايمان وعبادة الامم المهتدية الى دين المسيح بنعمة والهام الروح القدس كانت دون خلل وضلال هكذا المجوس قد ابدوا بحكمة والهام روح القدس الاكرام الواجب للمسيح المولود . لانهم لم يفتّشوا على ملك ارضي بل سموي . ولو لم يروا لهُ علامات الهيّة وجلالًا اهلًا بالملوك مع ذلك سجدوا لهُ مكتفين بشهادة النجم وحدهُ . لانهم رأوا انسانًا واعترفوا بكونهِ الهًا وقدّموا لهُ هدايا جديرة بمقام المسيح . فانهم قدّموا ذهبًا كما لملكٍ عظيم . ولبانًا وهو الذي يُوضع في الذبيحة لله لكي يُقرّب لهُ بما انهُ إله . ومُرًّا وهو الذي تحنّط بهِ اجسام الموتى لكي يُشار بذلك الى انهُ يموت عن خلاص جميع البشر . وبذلك نتعلّم ايضًا ان نقدّم للمسيح الملك المولود الذهب الذي هو رمز عن الحكمة متلألئًا امام وجههِ بنور حكمتهِ الازلية . واللبان الذي هو عبارة عن عبادة الصلوة لكي نهذّ بروح الارتفاع الى الله . والمرّ الذي هو اشارة الى إماتة الجسد لكي نقمع شهواتنا بروح الإماتة والتواضع (التتمّة للآتي)

# احسن ما سُمع

## نظر للاب لويس شيخو اليسوعيّ

ممَّن اصابوا قصبة السبق في مجال الآداب وتركوا لمن بعدهم آثارًا طيّبة صنّفوها في كلّ باب . واثاروا بها الاذهان واطربوا الالباب . كاتب فاضل يُعدُّ بين ائمة الكتَّاب . نريد ابا منصور عبد الملك الثعالبي احد ادباء نيسابور . ففيها وُلد سنة ٣٥٠ ﻫ (٩٦١م) وفيها توفي سنة ٤٢٩ (١٠٣٨) وقد قضى حياتهِ الطويلة في خدمة الآداب ونال الحظوى لدى كبار رجال زمانهِ من ملوك وامراء واعيان وكان يراسل اكثر علماء زمانهِ كما تدلُّ عليهِ تآليفهُ . اما مصنَّفاتهُ فهي عديدة تنيف على ثلاثين مصنَّفًا في الأدب والشعر والانشاء والمراسلات والتاريخ نُشر منها في بلاد الشرق قسم صالح فطُبع لهُ في الاستانة العليَّة التمثيل والمحاضرة . وسحر البلاغة . والمبهج . والنهاية في الكناية . والايجاز والاعجاز . وبرد الاكباد . وفي دمشق الشام يتيمة الدهر في اربعة اجزاء . ونثر النظم وحلّ العقد . وفي بيروت فقه اللغة . ومن غاب عنهُ المطرب . وفي تونس خاصّ الخاصّ . وفي مصر سرّ العربيَّة . والظرائف واللطائف . وقد نشرنا في المشرق (٣:٢٨) كتابهُ في مكارم الاخلاق . وقد عرف الاوربيُّون فضل هذا الكاتب فاذاعوا من تآليفهِ مؤنس الوحيد . ولطائف [illegible] . ولطائف الصحابة . وغُرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم وهو من ابدع الآثار [illegible] نسخة طُبعت في باريس مع ترجمة افرنسيَّة للعلّامة زوتنبرغ . وقد بقي لهذا الكاتب [illegible] تآليف مخطوطة تستحقّ ان تبرز الى الوجود لفوائدها نخصُّ منها بالذكر كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب منهُ نسخة قديمة في مكتبتنا الشرقيَّة . وفيها ايضًا كتاب آخر عزيز الوجود يدعى كتاب الآداب . وفي مكتبة باريس كتاب احاسن المحاسن . وفي مصر المتشابه . وفي ڤينَّة كنز الكتَّاب الى غير ذلك ممَّا لا يزال في زوايا النسيان

ومما طُبع آخرًا في مصر لابي منصور الثعالبي كتاب متوسّط الحجم تبلغ صفحاتهُ نحو المائتين يُدعى « احسن ما سُمع » طبعهُ بمطبعة الجمهور « حضرة الكاتب الفاضل

محمّد افندي صادق عنبر» وهو قد «نظر فيـهِ وصحّحهُ وشرح عباراتهِ» فبادرنا الى مطالعة هذا الاثر الجديد الذي استخرجهُ متولّي طبنه من المكتبة الخديويَّة وهو من نفائس تركة الفقيد الامـام العلّامة محمّد محمود التركزي الشنقيطي فنثني على جناب المصحح وعلى كلّ ملتزمي الكتاب الـذي نُشر بالحرف الاستنبوليّ المُشرق وأحكم طبعهُ

ولمّا كان هذا التأليف من المجاميع الادبيَّة النـادرة يحتوي غرراً من الحكم المنظومة بقلم شعراء مفلقين من الطبقات الاولى احببنا ان نختار منهُ بعض درره لتزيّن بها صفحات مجلّتنا في غرَّة هذه السنة الجديدة . لكنّنا رأينا ان نقدّم على ذلك بعض الملحوظات في التأليف المنوَّه بهِ ثمَّ في طبعهِ الجديدة

أجلنا النظر في تأليف الثعالبي فاذا هو يقسمهُ الى ٢٢ فصلاً في موادّ مختلفة يفتتحها بالالهيّات ثمَّ يعقبهـا بالنبويّات ثمَّ الملوكيّات ثمَّ الاخوانيّات ثمَّ الادبيّات ثمَّ الخمريّات ثمَّ فصول السنة ثمَّ الآثار العلويَّة ثمَّ الدنيـا والدهر والامكنة والابنية والطعاميّات الى ان يختمها بالمراثي والتعازي وفنون من المحاسن . فضمَّن كلّ باب بعض مقطّعات من نظم مشاهير الشعراء . تبلغ ابياتهـا اذا عُدَّت نحو ١٣٠٠ بيت وجدنا كثيراً منها رقيق اللفظ بليغ المعنى كما سترى

ومع استحساننا لهذا المجموع قد وجدنا مؤلّفهُ اطلق عليهِ اسماً لا يوافقهُ الموافقة التامَّة . وبياناً لذلك نسألهُ اهذ «احسن ما سُمع» منهُ هو او «احسن ما سُمع» مطلقاً . فان قال الاوَّل رُدَّ قولهُ بأبيات كثيرة اوردها لشعراء اقدم زمناً او ابعد مكاناً من ان يسمعهم بنفسهِ . ثمَّ نجد ... جمع ... منصور الاخرى كيتيمة الدهر والاعجاز واللطائف ابياتاً ومقاطيع بديعة لا تقلّ عمَّا اوردهُ هنا شأناً وتجاريها في حسن لفظها وانسجام تراكيبها وبُعد شأوها قد نعتها بنعوت الثناء وجعلها من احسن ما سمعهُ وهو مع ذلك لم ينظمها في سلك هذا المجموع

وان قال الثاني اي انَّ الكتاب يحتوي «احسن ما سُمع» على الاطلاق كان الاسم ابعد من المرمى لانـهُ مستحيلٌ ان يكون مجموع صغير كهذا «أحسن ما سُمع» من اقوال كل العرب . والدليل على قولنا انهُ لم يكد يُدخل في مصنَّفهِ شيئاً من اقوال شعراء الجاهليَّة مع انَّ في دواوينهم ابياتاً اجمع الادباء على فضل بلاغتها . وكذلك قد سكت

عن كثير من شعراء الاسلام الذين لا يختلف اثنان في محاسن اقوالهم كالفرزدق وجرير ولم يذكر للاخطل الّا بيتاً واحداً هيهات ان يُعدّ من احسن ما قالهُ . وكذلك لم نجد للمتنبي ولابي فراس الحمداني وللبحتري الّا النزر القليل . وقد اكثر على خلاف ذلك من اقوال من هو دون هؤلاء كابن المعتزّ وابي الفتح البستي والمهلّبي وابن الروميّ . وزد على ذلك انهُ لو جمع افضل ما سُمع على الاطلاق لما كفتهُ المجلّدات الضخمة مع كثرة اغراض الكتابة واختلاف ابوابها

وان تصفحنا بعد هذا فصول الكتاب وجدنا ايضاً في بعض متفرّقاتهِ ما لا يحسن بهِ ان يُنظم في « أحسن ما سُمع » فلو عرضناهُ على غيرهِ لتحقّقنا انَّ ذلك افضل من هذا المسموع ولا نزيد شاهداً على قولنا الّا ما افتتح بهِ الكتاب قال « أحسن ما جاء نظماً في حمد الله وذمّ الزمان قول ابن المعتزّ :

حمدًا لربّي وذمًّا للزمان فما اقلَّ في هذه الدنيا مسرّاتي »

فكلٌّ يرى انَّ هذا البيت لا يتجاوز القول الصحيح ولا نجد فيهِ من البلاغة ما زعم الثعالبي . وكذلك قول كشاجم (ص ٨١) الذي جعلهُ احسن ما قيل في وصف الهلال :

اهلًا وسهلًا بالهلا ل بدا لعين المبصرِ
او ما تراهُ يلوحُ في جوّ السماء الاخضرِ

وهو كما ترى نظم رائق ليس الّا . ومثلهُ قول الآخر رواهُ كأحسن ما سُمع في هجو بخيل (ص ١٠٤) :

جئتهُ زائرًا فقال لي البوّابُ صبرًا فانّهُ يتندّى

وفوق ذلك انّا وجدنا في هذا المجموع اقوالًا بذيّة بعيدة عن الذوق السليم حتّى ان متولّي طبع الكتاب نفسهُ استنكف من ايرادها . وبعض ما اوردهُ كان الاولى ان يُطوى ذكرهُ كقول ابن المعتزّ في مقابلة الشمس للسحاب (في الصفحة ٨١) لا نرويهِ لبذاءتهِ . ومثلهُ ما اورد للآخر (ص ١٧٢) :

وجه ابي عمرو واللينُ بهِ في القبح والبرد يُضرَبَ المثلُ
كأنّهُ في اتّساع صورتهِ روثةُ ثورٍ قد داسها جملُ

فاين كلّ ذلك من الحُسن . ولكن دعنا بعد هذا نخصّ بالنظر عمل متولّي طبع

الكتاب ثمَّ نبدي لهُ ماحوظاتنا ليزيدهُ حسنا في طبعتهِ الثانية ان شاء الله . واوَّل ما افادنا انَّ النسخة التي اخذ عنها كانت « سقيمة مكتوبة بقلم لا تكاد تُحلُّ رموزهُ لما دخل على الفاظهِ من التصحيف واعتور رسمها من التحريف » . فمن هذا ترى فضل الطابع وهمَّتهُ في نشر هذا الكتاب منقحًا . وقد صحَّح بعض اغلاطهِ . ويا ليتهُ كان دلَّ على مواضع الاصلاح ليطّلع القارئ على صوابهِ ولعلَّ بعضهُ يخالف مقصود الشاعر او منطوقهُ . وعلى كلّ حال كان الاولى بهِ لو فتَّش على نسخةٍ ثانيةٍ يقابل نسختهُ عليها فيصلحها بالمعارضة . نعم أنَّنا لا نجهل انَّ نسخ هذا الكتاب عزيزة في المكاتب لكنَّ في خزانة كتب « كوپريلي » في الاستانة العليَّة نسخةً حسنة لو استنسخها جنابهُ لسهَّلت لهُ العمل

وقد نبَّه في بعض الاحيان الى وجوه الاصلاح فرأيناهُ غالبًا مصيبًا . فممَّا احسن في اصلاحهِ (ص ٣٨) ما جاء في عتاب الرَّجل المَلول في قول الشاعر (كذا) :

اذا انا عاتبتُ المَلول فانَّما اخطُّ بأقلامي على الماء احرفا

وكانت اللفظة تحرَّفت « بالملوك » . وكذلك اصلح لفظة « متحل » بمتنخّل في قول المهلبي :

فكأنَّ لفظك لؤلؤ متنخَّل وكأنَّ آذاننا اصدافهُ

فالمتنخَّل المختار ويجوز ايضًا « متنصّل » بالصاد . واحسن ايضًا باصلاح قولهِ « غدتْ » بغدتَ في بيت ابي تمَّام (ص ٣٥) :

ارواحنا في مكانٍ واحدٍ وغدت ابداننا بشآم او خراسانِ

وفي الصفحة عينها اصلح « على رغمي » تصحيف « ابن عمّي » :

أميل مع الذمام على ابن عمّي واقضي للصديق على الشقيق

ومع حسن هذه الاصلاحات قد بقي في هذه الطبعة ابيات كثيرة مغلوطة مكسورة الوزن كقولهِ (ص ١٩ س ٤) :

لما امر اللهُ الحكيم بشكرهِ فقال اشكروا لي ايا الثقلانِ

والصواب « أيُّها الثقلان » . ومثلهُ (ص ٣١ س ١٢) :

الم ترَ انَّ الله قال لمريم وهزّي اليك الجزع يساقط الرطب

والصواب : « كي يسقط الرُّطبُ » . وفي (ص ٣٣ س ١٥) قد صُحّف بيت النابغة

« ولا قرار على رأزٍ من الاسدِ »

والصواب « على زأرٍ من الاسدِ » . وقد صُحف البيت في قولهِ (ص ٤٥ س ٤) :

حكت السماء ندى بديـــك فلم اطلق سعيا اليكا

ونظنّ انّ الصواب :

حكتِ السماءُ ندى يديـــك فلم أُطِق سعياً اليكا

وكذلك صُحف قولهُ (ص ٦٣ س ٧) :

قُمْ فاسقني بين خفق الناي والقود

يريد « العُود » فصُحفت بالقود . وكذا (في ص ٧٩ س ١) روى « جيب مزروز » يريد : « جيبٌ مزرور » . وكذلك كُسر الوزن (ص ٨٤ س ٢) في قولهِ :

كأنما نجم الثريـا لمن يرمقها والظلام منطبقُ

والصواب « أنجم الثريّا » . وفي (ص ٩١ س ٢ و ٧) فسد المعنى بروايتي « جمب » و « دينا » يريد « جمت » و « دنيا » . وفي الصفحة التاليـة (س ٣) كُسر الوزن بروايتهِ « فأخرجنا آله الناس » يريد « إلهُ الناس » . وروى (ص ٩٨ س ٤) بيت ابن العلّاف الشهير في وصفهِ للهرّ :

لا بارك الله في الطعام اذا كان هلاك النفوس في الجد

فصار المعنى مشوَّهاً اقبح تشويه . والصواب « في المِعَدِ » . وكذلك البيت الذي بعدهُ روى شطرهُ الأوّل « كم دخلت اكلة حشاشره » وكان الشاعر كتب « كم دخلت اكلةٌ حشَا شرهٍ » ويروى « لقمةٌ » بدلاً من « اكلة » . ومن سوء رواياتهِ (ص ١٤٥ س ٢) :

« من شاب قد هو مات وهو حيّ يمشي على الارض مشي هالــك

والصحيح « قد مات » . ومن تصحيفهِ قولهُ (ص ١٤٧ س ١٢) في الهلال :

يزداد حتّى اذا تمّ في الاشراق اعقبه كرّ الجديدين نقصا ثمّ ينمحق

وهو من البحور التي لم يروها الخليل . وصُحف ايضاً قولهُ (ص ١٥٠ س ٦) :

اوجههُ الواضح ام حلم الرا جح ام نائلـه الغمر

والصواب :

اوجهـهُ الواضح ام حلمهُ م الراجحُ ام نائلهُ الغمرُ

وصحّف ايضاً (ص ١٧٣ : ٣) قول الصابي :

مضغ الهنـدي لا مرَّةً خبزاً ادماها

والصواب « وضع » ولم يحسن تقطيع البيت . وكسر بيت عنترة (ص ١٧٥ س ٣) :

وبما بين نال فضلُ عانيةٍ وقوت يومٍ فقر الى احدِ

والصواب « وما بين » . وكُسر ايضاً بيت القائل (ص ١٩٠ س ٣) :

فلا تحتقرن عدوًّا رما ك ولو كان في ساعديهِ قصرْ

يُقام البيت ان اصلحتهُ بقولك « فلا تحقرنْ » . وصُحف البيت الاوّل في الصفحة الاخيرة

فتقاسم الناس المسرَّة بينهم قسماً وكان اجلُّهم حظاً لنا

اصلاحهُ « انا » . وهذه بعض تصحيفات خطئناها تشوّه المعاني امّا الاغلاط الطبعيّة فتُعدُّ بالعشرات لا نتعرَّض لها . وكذلك لا نقول شيئاً عن تقطيع الابيات التي تدلُّ على قلّة معرفة الطابع بأحكام العروض لا سيّما في بعض البحور كالرمل والمتقارب . ففي الصفحة ٣٨ وحدها اربعة ابيات أسيء تشطيرُها فيروي مثلاً :

وكنتُ اذمُّ اليك الزما ن فلمّا نبا صرتَ حربًا عليًّا

ومن البديه انَّ « نون » زمان تختصُّ بالشطر الاوّل على مقتضى تقطيع المتقارب

امّا الشروح التي في ذيل الكتاب فهي مع فائدتها غير مستوفية وربّما اورد الشارح ما لا يُحتاج الى شرحهِ وترك العويص . مثال ذلك البيت الاوّل من الصفحة ١٠٣ « ولا تكن سابريَّ العرض محتشماً » فانهُ اتسع في شرح « المحتشم » وسكت عن « السابريّ » . وكذلك (في الصفحة ٦٧ س ١٤) بيت الحمداني

الخمر شمس في غلالة لاذِ تجري وحطها من الجرذاذ

فشرح الغلالة واللاذ ولم يفدنا عن معنى الجرذاذ شيئاً . وكذلك ضرب الصفح (ص ٧٨ س ٧) عن « البجازي » في بيت المأموني بعد شرحهِ الفاظاً اخرى سهلة :

كأنهُ في الاناء اوعية من البجازيِّ ملؤها عسلُ

بقي علينا ان نقتطف من هذا المجموع بعض فوائدهِ لنتحف بها القرّاء . ونبدأ بذكر ما رواهُ الثعالبيّ من الالهيات . قال (ص١٦) : ومن احسن ما قيل في الشكر لله على نعمتهِ قول محمود :

اذا كان شكري نعمةَ الله نعمةً عليَّ لهُ من مثلها يجب الشكرُ
فكيف بلوغ الشكر الّا بفضلهِ وان طالت الأيام واتّصل العمرُ
اذا عمَّ بالسرّاء عمّ سرورها وان خصَّ بالضرّاء اعقبها الاجرُ

ومن احسن ما قيل في التوكّل قول بعضهم (ص ٢٢) :

توكّلْ على الله في النائباتِ ولا تبغِ فيها سواهُ بديلا
وثق بجميل صنيع الإلـه فما عوّد اللهُ الّا جميـلا

ومن اجود ما قيل في محبّة الله قول محمود (ص ٢٤) :

تعصي الإله وانت تظهر حبَّهُ هذا محالٌ في القياس بديعُ
لو كان حبُّكَ صادقًا لأطعتَهُ انَّ المحبَّ لمن أحبَّ مُطيعُ

ومن محاسن الاشعار الملوكيّة قول سلم بن عمرو في الرشيد (ص٣٤) :

ملكٌ كأنَّ الشمس فوق جبينهِ متهلّلُ الامساء والاصباحِ
فاذا حللتَ ببابهِ وفنائهِ فانزل بسعدٍ وارتحل بنجاحِ

ومن احسن ما جاء في الاخوانيّات قول زياد الاعجم (ص ٣٦) :

اخٌ لي ما اراهُ الدهرَ الّا على العلّاتِ بسّامًا جوادا
سألناهُ الجزيلَ فما تلكّا واعطى فوق منيتنا وزادا
واحسنَ ثمَّ احسنَ ثمَّ عُدْنا فاحسن ثمَّ عاودنا فعادا
مرارًا ما اعودُ اليهِ الّا تبسّم ضاحكًا وثنى الوسادا

واحسن ابو تمّام في مخالطة الاخوان (ص ٣٤) :

ذو الودِّ منّي وذو القربى بمنزلةٍ واخوتي اسوةٌ عندي فاخواني
عصابةٌ جاورتْ آدابُهم أدبي فهم وإن فُرِّقوا في الارض جيراني
ارواحنا في مكان واحدٍ وغدتْ ابداننا بشآمٍ او خراسانِ

ويستظرف لكشاجم قولهُ في فراق الاخوان (ص ٤١) :

قلتُ وقالوا بانَ اخوانُهُ فابدلوهُ البُعد بالقربِ
واللهِ ما شطّت نوى صاحبٍ سار من العين الى القلبِ

قال (ص٤٢) : « وممّا لا يزيد على حسنهِ قول بعض المولّدين» :

خطراتُ ذكرك تستثير مودّتي فاحسُّ منها في الفؤاد دبيبا
لا عضوَ لي الّا وفيهِ صبابةٌ فكأنَّ اعضائي خُلقنَ قلوبا

ومن اظرف ما قيل في الاستزارة قول ابي الفتح البستي (ص ٤٥)

عندي فديتُكَ سادةٌ احرارُ وقلوبهم شوقًا اليك حرارُ
وشرابنا شُربُ العلوم وروضُنا تُرَهُ الحديثِ ونُقلنا الاشعارُ
فامنن علينا بالبدار فانّما اعمارُ اوقاتِ السرورِ قصارُ

ولم يسمع في حسن الكتابة قول احسن من قول ابي اسحاق (ص ٤٧)

واذا استنطق الانامل جاءت ببيانٍ كالجوهر المنضودِ
في سطورٍ كانها نثرت يمناهُ منها عصابًا من برودِ
فقرٌ لم يزل فقيرًا اليها كلُّ مبدي بلاغةٍ ومعيدِ
بيانٍ شافٍ ولفظٍ مصيبٍ واختصارٍ كافٍ ومعنًى سديدِ

ومن مُلَح ابي الفتح البستي (ص ٤٨) في وصف كتاب :

كتابك سيدي احلى همومي وحلَّ بهِ اغتباطي وابتهاجي
كتابٌ في سرائرهِ سرورٌ مناجيهِ من الاحزان ناجِ
فكم معنًى بديعٍ دَرجَ لفظٍ هناك تزوَّجا ايَّ ازدواجِ
كراحٍ في زجاجٍ بل كروحٍ سرت في جسم معتدلِ المزاجِ

ومن احسن ما قيل في ذم الدنيا قول ابن بسَّام (ص ٨٧) :

أُومن بالدنيا (١ وايامها فانها للحزن مخلوقه
غمومها لا تنقضي ساعةً عن مَلكٍ فيها ولا سوقه
يا عجبي منها ومن شأنها عدوَّةً للناس معشوقه

ومن قلائد ابن الرومي في تقلبات الدهر (ص ٨٩ ) :

دهرٌ علا قدرُ الوضيعِ بهِ وترى الشريف يحطُّهُ شرفُهُ
كالبحر يرسبُ فيهِ لؤلؤهُ سفلًا ويعلو فوقهُ جيَفُهُ

وكان الاستاذ الطبري يقول امدحُ بيتٍ للبحتري قولهُ (ص ١٤٨) :

دنوتَ تواضعًا وعلوتَ مجدًا فشأناك انحدارٌ وارتفاعُ
كذاك الشمس تبعدُ اذ تُسامى ويدنو الضوء منها والشعاعُ

ومثلهُ للوأواء (ص ١٤٩) :

للناس ما لم يروك اشباهُ والدهرُ لفظٌ وانتَ معناهُ
والجود عينٌ وانت ناظرها والناس باعٌ وانت يمناهُ
ان كان فيما نراهُ من كرمٍ فيك مزيدٌ فزادك اللهُ

ولابن الرومي (ص ١٥٩) :

كلُّ الخلال التي فيكم محاسنكم تشابهت منكمُ الاخلاقُ والخُلُقُ
فانتم شجرُ الأُترجِّ طاب معًا حملًا ونَوْرًا وطاب العودُ والورقُ

---

١) قد زعم متولي طبع الكتاب ان هذا تصحيف قوله « افٍّ من الدنيا »

ومن احاسن الاستماحات قول البحتري (ص ١٦٦) :

بدٌ لك عندي قد ابرَّ ضياؤها     على الشمس حتَّى كاد يخبو سراجُها
فان تُلحق النُّعمى بنعمى فانَّهُ     يزين اللآلي في النظام ازدواجُها

ومن لطائف ابي نواس في الشكر قولهُ (ص ١٦٣) :

قد قلتُ للعبَّاس معتذرًا     من ضعف شكريهِ ومعترفا
انت امرؤٌ حمَّلتني نعمًا     اوهتْ قوى شكري فقد ضعفا
لا تسدينَّ اليَّ عارفةً     حتَّى اقوم بشكر ما سلفا

واحسنَ من قال في الشيب (ص ١٤٢) :

ولقد رأيتُ صغيرةً     مسحت عذاري بالخمارِ
قالت غبارٌ قد علا     ك فقلتُ ذا غير الغبارِ
هذا الذي نقل الملو     كَ الى القبور من الديارِ

وبخلافهِ قول الآخر (ص ١٤٦) :

لا يَرُعْكِ المشيبُ يا ابنة عبد اللهِ     فالشيب زينةٌ ووقارُ
انما تحسنُ الرياض اذا ما     ضحكت في خلالها الانوارُ

وليس في هجاء اعمى احسن من قول القائل (ص ١٧٣) :

كيف يرجو الحياء منهُ صديق     ومكان الحياء منهُ خراب

ومن جميل ما كُتب في الهديَّة قول احمد بن يوسف الى علي بن يحيى (ص ١٨١) :

من سنَّة الاملاك فيما مضى     من سالف الدهر واحوالِهِ
هديَّةُ العبد الى ربِّهِ     في جدَّة الدهر واقبالِهِ
فقلتُ ما أهدي الى سيّدٍ     حالي اذا فكَّرتُ من حالِهِ
ان أهدِ نفسي فهي في ملكِهِ     او اهدِ مالي فهو من مالِهِ
فليس الَّا الحمد والشكر والمدح الذي يبقى لامثالِهِ

ومن احاسن ما قيل في مرثية الولد قول العتبيّ (ص ١٨٦) :

دعوتك يا بنيَّ فلم تجبني     فرُدَّت دعوتي بأسًى عليًّا
بموتك ماتت اللذاتُ عنّي     وكانت حيَّة اذ كنت حيًّا
فيا أسفي عليك وطول شوقي     اليك لوَ انَّ ذلك ردَّ شيًّا

وللآخر في صغير (ص ١٨٧) :

ان يكن مات صغيرًا     فالأسى غيرُ صغيرِ
كان ريحاني فقد اصبح     ريحانَ القبورِ

واحسن ما قيل في السرور بالبشرى قول بعضهم (ص ١٩١) :

ورد البشيرُ بما اقرَّ الاعينا وشفى النفوس فنلنَ غايات المنا
فتقاسم الناس المسرَّةَ بينهم قسماً وكان اجلّهم قسماً انا

ومن لطائف الاوصاف ما قالهُ الصاحب في الثلج (ص ٧٩) :

اقبل الجوّ في غلائل نورٍ وتهادى في لؤلؤٍ منثورِ
فكأنَّ السماء صاهرت الارضَ فكان النثارُ من كافورِ

ومن احسن ما وصف بهِ الربيع قول بعضهم (ص ٢٣) :

اربأ بربعِ للربيع وكُن لهُ ضيفاً تكنْ ندماءك الأنوارُ
من قانئٍ في ناصرٍ في فاقعٍ في ناصعٍ صبَّاغها الجبَّارُ

ومثلهُ قول الآخر (ص ٦٥) :

طاب هذا الهواء وازداد حتَّى ليس يزدادُ طيبُ هذا الهواء
ذهبٌ حيثما ذهبنا وورد حيث رُدنا وفضَّةٌ في الفضاء

ونعم ما قيل لبعضهم في وصف الهشاشة للضيف (ص ١٠٣) :

أضاحك ضيفي قبل انزال رحلهِ ليترل عندي والمحلّ جديب
وما الخصب للاضياف ان تُكثر القرى ولكنَّما وجهُ الكريمِ خصيب

الاوصاف الحسنة وصف دارٍ للصاحب (ص ٩٣) :

دار على العزّ والتأييد مبناها وللمكارم والعلياء مغناها
فاليمنُ اقبل مقروناً بيمناها واليُسر اقبل مقروناً بيسراها
لمَّا بنى الناسُ في دنياك دورَهمُ بنيتَ في دارك الغرَّاء دنياها

ومَّما يفضَّل في الطعاميَّات قول البستيّ (ص ٩٨) :

كل قليلًا تعشْ طويلًا وتسلمْ من عوادي الاسقام والادواء
انما يتتذي الكريمُ ليبقى وبقاء السفيهِ للاغتذاء

ويُستحسن قول ابي اسحاق الصابي في وصف الفستق (ص ٧٨) :

زمرُّدٌ صانهُ حريرٌ في حُقّ عاجٍ لهُ غلافُ

واحسن ايضاً في وصف البقّ ( اي البعوض ) (ص ٧٤) :

اطافَ بي عسكرٌ للبقّ ذو لجبٍ ما فيهِ الَّا شجاعٌ فاتكٌ بطلُ
من كلّ شائلة الخرطوم طاعنةٍ لا تحجبُ السُّجفُ مسراها ولا الكِلَلُ
طافوا علينا وحرُّ الشمس يطبخنا حتَّى اذا نضجت اجسادنا أكلوا

وعارضهُ الثعالبي مؤلف الكتاب فقال (ص٧٥):

وليلٍ بتُّ رهنَ اكتئابٍ   اقاسي فيهِ ألوان العذابِ
اذا شرب البعوض دمي وغنّى   فللبرغوث رقصٌ في ثيابي

ونختم هذا بوصف طبيب فصّاد لكشاجم اجاد فيهِ كما شاء (ص ١٦٠):

الحمد لله قد وجدتُ اخاً   استُ بهذا الدهر مثلهُ واجدْ
اسكنُ في محتي اليهِ فان   مرضتُ كان الطبيبَ والعائدْ
احنى على كلّ من يعالجهُ   من الشفيق والوالدْ
يعلمُ من قبل ان تخاطبهُ   ما انت من كلّ علّةٍ واجدْ
كانما تحت ما يجسّ بهِ   قلبٌ دليل وناظرٌ رائدْ
كانما طرفُهُ لمبضعهِ   متّصل في طريقهِ القاصدْ
كانهُ في نصيحةٍ وتقى   لنفسهِ دون غيرهِ قاصدْ
يُبقي علينا دم الحياة ولا   يُخرج الّا المضرَّ والفاسدْ
يُخرجُ مقدارَ ما نريد على الـ   ـمزاج لا ناقصاً ولا زائدْ
مبارك الشخص حين تبصرهُ   توقن بالبرء انهُ واردْ

فهذه المنتخبات شاهد بيّن على ما اسلفنا من مديح هذا الكتاب وحُسن مضامينهِ . والسلام

# اثر جديد لمار افرام السرياني

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

هو عمود البيعة وشمس المشارق . بل نبيّ السريان وصنّاجة الروح القدس افرام النصيبينيّ الذي لم يَسِم بهذه الاسماء الشريفة كالقاب فارغة لكنّهُ استحقّها بمحصر القول فضاق المنطق عن احصاء مناقبهِ وتعداد مبرّاتهِ . وكفاهُ فخرًا ان تآليفهُ عُدّت في كنائس الشرق بمثابة الاسفار المنزلة فكانت تُتلى في الحفلات الدينيّة كما افاد القديس ايرونيموس . فلا بدع ان يتزاحم العلماء على مناهل ذلك الرجل العظيم فيستقون من ينابيعهِ ويتناقلون اقوالهُ بل يلتقطون شذرات كلامهِ كما يلتقط الجياع الفتات المتناثر من القصاع . فما قولك بهم لو جاءهم احد باثر جليل كان اخنى عليهِ الزمان او تلاعبت بهِ ايدي العيث فطمست محاسنهُ طوارق الحدثان . وها نحن نبشر

محبي الدرر الافرامية بظهور احد مصنفاته التي أيس البعض من التمتع بفوائدها وذلك بهمة احد جهابذة الشرقيين غبطة السيد الجليل والعلامة النبيل بطريرك طائفة انطاكية على السريان الكاثوليك مار اغناطيوس افرام الثاني الرحماني الذي أولع بآداب السريان فاحيا منها بعد مواتها ما خلّد له شكر العلماء . لكنه أغرم بآثار سميّه وشفيعه وابن اوطانه الجزيرية لينشر منها ما لم يزل في طيّ النسيان . ونعم ما فعل اذ تفوق اعمال القديس افرام على مآثر سواه بقدمها وسموّ مضامينها وحسن سبكها

تزين معانيها الفاظها والفاظها زائنات المعاني

ومما اتحفنا به آخرًا مجموع خطير يبلغ ١٣٦ صفحة مطبوع احسن طبع في مدرسة السيدة في الشرفة بحرفنا الاسطرنجلي الذي سبكناه في مطبعتنا الكاثوليكية على مثال بديع من مخطوطات مكتبة باريس واضاف اليه مقدمات وشروحًا مع ترجمة لاتينية مستوفية وانيقة العبارة وفوائد أخرى زادت تلك الطرفة قدرًا وحسنًا فنمحض لغبطته التهانئ متمنين له طول البقاء ليواصل اعماله الممتازة خدمةً للكنيسة ورفعًا لمنار اللغة السريانية

*

وقبل ان نخص بالنظر هذا الاثر الجديد ونعرّف القرّاء بمكنوناته يجدر بنا ان نذكر شيئًا عن مؤلفات القديس افرام فنقول : انّ ملفان الكنيسة السريانية احد رجال القلم الذين توسعوا في الكتابة حتى يحتار العقل لغزارة مادّتهم ووفرة تصانيفهم فهو بين السريان كاوريجانس ويوحنا فم الذهب بين اليونان وكترتليان واوغسطينوس بين اللاتين اقامهُ الله في انحاء ما بين النهرين ليتصدّى لشيع الهراطقة المتعدّدة في تلك الاصقاع ويرشد الضالين ويثبت المؤمنين في سبيل الحق فلم يدع بابًا في الانشاء الّا طرقهُ او منهجًا دينيًا الّا سلكهُ . له شروح على اكثر الاسفار المقدّسة ومدائح وميامر ومداريش واقوال جدلية منها بالنثر واكثرها بالشعر وفي شعره من الرقة والطلاوة والاتساع في المعاني المبتكرة والتشابيه البديعة ما يأخذ بمجامع القلوب . واثنى عليها كثير من اهل الانتقاد والذوق كالقديس باسيليوس وفوطيوس . وقد عدّد البعض القصائد التي ألّفها القديس افرام واذا هي تزيد على ١٢٠٠ قصيدة بينها المنظومات الطويلة

ثمّ توالت القرون على هذه الآثار فكادت تذهب فريسة الضياع والنسيان لولا

دخول قسم كبير منها في طقوس الكنائس الشرقيَّة من كلدان وسريان وموارنة ترى فرائضهم الدينيَّة وصلواتهم المليَّة مشحونة باقوال القديس افرام يتغنَّون بها في كلّ اطراف الليل وآناء النهار وخصوصاً في مواسم الاعياد لا يملكهم في تردادها سأم لحسن معانيها وانسجام تعابيرها

ولمَّا حصلت في اوربَّة في القرن السادس عشر نهضة الآداب الشرقيَّة اقبل كثيرون على درس اعمال القديس افرام وطبعوها كما وجدوها في خزائن كتبهم منقولةً الى اليونانيَّة والى اللاتينيَّة. وفي مطاوي ذلك العصر وفي الجيل التالي تنبَّه الاحبار الرومانيُّون كلاوس العاشر وسكستوس الرابع وبيوس الرابع وبولس الخامس واوربانوس الثامن الى الكنوز الادبيَّة الشرقيَّة وسعوا في اغناء مكتبة الفاتيكان بتآليف السريان والكلدان والعرب والعبرانيين والفرس والحبش والاقباط والارمن فانفقوا عليها المبالغ الطائلة. وقد زادت في ذلك مساعيهم وتضاعفت هممهم منذ أُنشئت في رومية العظمى المطابع الشرقيَّة فنالت بذلك فضل السبق على بقيَّة الدول. ولمَّا صار زمام الكنيسة في ايدي الطيّب الذكر اقليميس الحادي عشر افرغ كنانة وسعهِ في الحصول على المخطوطات الشرقيَّة فاستعان على الامر بهمَّة المرسلين واوفد الى مصر والصعيد وانحاء الشام من يجمع تلك الآثار وقد اشتهر في ذلك بعض تلامذة المدرسة المارونيَّة في عاصمة الكثلكة كابراهيم الحاقلاني والياس نسيب الصامغة واندراوس اسكندر وعلى الاخصّ المنسنيور يوسف شمعون السمعاني فلم تلبث الخزانة الفاتيكانيَّة ان تزدان باجمل المؤلفات التي خلَّفها مشاهير الكتبة الشرقيين. وكان لبني السريان بين هذه الآثار عدَّة تآليف يرتقي بعضها الى الف سنة بنيِّف

واوَّل من سعى بنشر اعمال القديس افرام في لغتهِ الاصليَّة الاب بطرس مبارك اليسوعيّ الماروني طبع منها في النصف الاوَّل من القرن الثامن عشر مجلدين ضخمين ونصف مجلَّد ونقل ذلك الى اللاتينيَّة ولمَّا توفَّاهُ الله في اثناء العمل اكمل هذا المجلد الثالث مطران افامية الشهير اسطفان عوَّاد السمعاني. وكان المنسنيور يوسف السمعاني ناظر المكتبة الفاتيكانيَّة يعنى في اثناء ذلك بطبع ما قيمةُ من اعمال ملفان السريان باليونانيَّة في ثلاثة مجلَّدات على حجم المجلَّدات السريانيَّة ناقلاً اياها الى اللاتينيَّة

وبقيت هذه المنشورات كدستور يرجع اليه العلماء الى اواسط القرن التاسع عشر حيث قام مستشرقون فضلاء وتجاروا في استخراج اعمال القديس افرام من قماطيرها المجهولة لاسيَّما في خزانة لندن وباريس فنشر اوڤربك كثيرًا من ميامره وردوده على البدع وعلى يليان الجاحد وغير ذلك وابرز بيكل احد اساتذة ڤينَّة مداريشهُ النصيبينيَّة التي ضمَّنها القديس امورًا من تاريخ نصيبين وطنه واحوالها وجيرتها. وطبع لامي في بلجكة مجلّدين آخرين من نخبة اعماله التي لم تُنشر بعد للطبع فيها الميامر على الاعياد الكنسيَّة والمداريش والقصائد الرنَّانة فيها المئات من الابيات كقصَّة يوسف بن يعقوب ووصيَّة القديس افرام. وكذلك تسنكرله (Zingerle) وحضرة وطنيّنا الاب بدجان الكلداني اللعازري نشرا للقديس افرام عدَّة قصائد لم تُطبع حتَّى الآن

دعنا الان نسرّح الابصار في الاثر الجديد الذي نشرهُ بالطبع غبطة السيد الجليل مار اغناطيوس افرام الثاني السرياني فنقول : انَّ بين المخطوطات التي كان حصل عليها الياس نسيب السمعانيّ سنة ١٧٠٧ في دير الاسقيط كتابًا نفيسًا خطَّهُ على الرق كاتبٌ يُدعى قزما سنة ٨٣٤ للاسكندر الموافقة سنة ٥٢٣ للميلاد وهو الكتاب السابع من مقتنيات الياس المذكور ثمَّ وُسم بالعدد ١١١ ويحتوي على ٢٦٠ ميمرًا من ميامر القديس افرام تُقسم الى خمسة اقسام : ٥٢ منها في الكنيسة وتعليمها الصادق. ثمَّ ٥٠ في البتوليَّة. ثم ٨٧ في الايمان القويم. ثم ٥٦ في تفنيد البدع. ثمَّ ١٥ في الفردوس. وهذا المجموع فريد في جنسهِ ليس منهُ نسخة اخرى كاملة مثلهُ ولكن لسوء الحظ قد أُصيب هذا الكتاب بآفةٍ كادت تتلفهُ وذلك انَّ المخطوطات التي اتى بها الياس السابق الذكر كانت وقعت في مياه النيل وما استُخرجت منها الَّا بعد ان طُمس منها قسم كبير. فلمَّا اقبل العلماء على نشر مخطوطات القديس افرام لم ينشروا من هذا الكتاب الَّا ما تيسَّر لهم مقابلتهُ مع غيره واصلاحهُ بالمعارضة

وبين اقسام المخطوط المنوَّه بهِ قسمٌ لم يُعرف منهُ حتى الآن الَّا هذه النسخة الفريدة نريد المداريش الخمسين الموسومة بمداريش البتوليَّة من اجل منظومات القديس افرام لكنَّ كثيرًا من سطورهِ قد فسدت بماء النيل كما ترى في المثال الذي اثبتناهُ هنا فعجز العلماء عن قراءتها واحجموا عن طبع الكتاب

بيد ان هذه العوائق ما كانت لتثنيَ همَّة السيد البطريرك فانهُ لم يزل يعمل

نظرهُ في معمَّيات الكتاب حتى فكَّ كثيرًا من اسرارهِ . ومما اعانهُ على الفوز بالمرغوب كتابان في خزانة مخطوطات لندن موسومان بعدد ١٧١٤١ وعدد ١٤٥٠٦ يحتوي الاوَّل منهما ثلاثة عشر مدراشًا من هذه المداريش اعني المدريش الاولى الاحد عشر ثم المدراشين الرابع عشر والثامن عشر . اما الثاني الراقي عهدهُ الى القرن التاسع ففي ضمنهِ عدَّة قصائد افراميَّة من كتاب البتوليَّة أُدرجت في الفرض الطقسي . واستفاد ايضًا غبطتهُ لاصلاح خلل المصحف الفاتيكاني بالصلوات القانونيَّة التي يتلوها السريان أيام الاحاد والاعياد السنويَّة وهي تشمل نبذًا شتَّى منتخبة من هذه مداريش البتوليَّة كما انهُ جزاهُ الله خيرًا استعان بتآليف علماء السريان الاقدمين الذين استشهدوا بطُرَف من هذه القصائد الجميلة . وقد اشار الى كلّ ذلك في الحواشي التي علَّقها على النص السرياني

ثمَّ انَّ السيد البطريرك لم يكتفِ بكل ذلك بل احبَّ ان يقتبس الغربيون عمومًا والكلفون بالدروس الشرقيَّة خصوصًا من انوار هذه المداريش فافرز لهم قسمًا مطوَّلًا افتتحهُ بمقدَّمة مفيدة بحث فيها عن مبنى الكتاب ومخطوطه الفاتيكاني ثمَّ عن صحَّة نسبتهِ الى القديس افرام ثمَّ عن مضامينهِ ثمَّ عن البحر اوزانهِ . وعقَّب المقدَّمة بترجمة المداريش فنقلها الى اللاتينيَّة بامانةٍ وعبارة فصيحة معًا تنبئ باضطلاع الناقل الكريم على دقائق اللغتين سواء . وعلَّق على ترجمتهِ بعض حواشٍ ايضاحًا للتعابير العويصة او الملتبسة واشار فيها كذلك الى الآيات الكتابيَّة التي قصدها المؤلف القديس في نظمهِ

ومن فضل غبطتهِ ايضًا انهُ الحق بتلك الترجمة نبذةً تتضمَّن الالفاظ اللغوية التي وردت في هذه المداريش ولا اثر لها في المعجمات السريانيَّة ووضع بازائها ترجمتها اللاتينيَّة

فترى من ثمَّ ما امتازت بهِ هذه الطبعة من المحاسن التي لا يشوبها سوى اغلاط خفيفة طبعيَّة في اللاتينيَّة يسهل على العلماء اصلاحها

*

قد بقي علينا ان نذكر شيئًا من خواصّ هذا التأليف الافرامي ليحيط بفوائدهِ علمًا قرَّاؤنا الكرام . وان سألت اوَّلًا كيف تثبت نسبة هذا الكتاب للقديس افرام وما ادرانا انها ليست لغيرهِ من كتبة السريان ولعلَّ بعضهم نسبها اليهِ زورًا

فالجواب على ذلك ( اوَّلًا ) ان مداريش البتوليَّة في مجموع يحتوي اعمالًا للقديس

افرام لا ريب في صحّتها · فليس من داعٍ للقول بان مداريش البتوليّة لغيره · ( ثانيًا ) انَّ الناسخ وهو من الربع الاوَّل من القرن السادس قد صرَّح في ختام نسخته انَّ المداريش المنسوخة كلها من اقوال القديس افرام · ( ثالثًا ) ويثبت ذلك ما ورد من المقاطيع المتفرّقة التي في مخطوطيّ لندن السابق ذكرهما وهي تُنسب هناك للقديس افرام كما في نسخة الفاتيكان · ( رابعًا ) ويزيد الامر ثبوتًا اذا قوبل بين انشاء مداريش البتوليّة وبقيّة قصائد افرام السرياني فتجدها موافقةً لها في طريقة الكتابة والتعابير وسعة المادّة والتفنن في التشابيه واشكال البديع وتفنيد الهراطقة الذين ناقضهم في بقيّة تآليفهِ من بردسانيين ومرقيونيين ومانويين وآريين الخ · ( خامسًا ) واخيرًا قد صرَّح القديس افرام باسمهِ في ختام مدراشين من هذه المداريش اعني الحادي عشر في الدور العاشر حيث يقول : « انَّ اسمي افرام ولكن يكسف بالي ما ورد في نبوَّة هوشع عن هذا الاسم ( يريد سبط افرانيم ) » · وفي المدراش التاسع عشر افاد ايضًا انهُ وضعها وهو شيخ بالغ في السنّ

ولكن ما سبب تسمية هذه المداريش بالبتوليّة؟ ان نسبتها للبتوليّة ليس لكونها تبحث عن البتوليّة وانّما دُعيت بهذا الاسم لانَّ المداريش الاولى منها مختصّة بمحامد البتوليّة ومفاخر العفّة والطهارة · وبينها قصائد عديدة في مدح السيّد المسيح وذكر اسرار حياتهِ الالهيّة وقيامته وفيها اقاويل في نينوى وتوبة اهلها على يد يونان النبيّ ومواضيع اخرى كتابيّة ودينيّة كذكر لوط وسليمان النبيّ والكنيسة والايمان وغير ذلك

وهذه المداريش كما سبق من النظم السريانيّ الذي نهج لهُ القديس افرام مناهج خاصّة وليس في العروض السريانيّة كما في العربية قوافٍ بروي واحد وانّما لها اوزان ذات عدد معلوم من المقاطع تعود بنظام في كلّ دور وللدور شطور يختلف عددها من الشطرين الى ١٤ شطرًا · وكذلك مقاطع الشطور تختلف من الاربعة الى الثمانية · وربّما كانت شطور ادوار القصيدة كلها ذات خمسة او سبعة او ثمانية مقاطع · وربّما امتزجت شطور المقاطع المختلفة على قاعدة ثابتة كما بيّن الامر السيّد البطريرك في مقدّمتهِ

ولهذه المداريش فوائد شتّى فانّها تُطرب السمع بنظمها ثمَّ تفكّه الالباب بمعانيها الشعريّة وتفيد التاريخ في اشياء متعدّدة كبيان احوال السريان في زمن المؤلف في

دينهم وآدابهم وما قام بينهم من المبتدعين . ومن اعظم فوائدها تأييدها للعقائد الدينيّة الكاثوليكيّة كعقيدة الخطيئة الاصليّة وعقيدة براءة البتول منها في حبلها الطاهر وعقيدة ابن الله الكلمة المتجسد ذي الاقنوم الالهيّ الواحد في الطبيعتين وكحقيقة اسرار الكنيسة من عماد وتثبيت وتوبة وقربان مقدّس محتوٍ لجسد ودم المسيح وكعقيدة الكنيسة الواحدة ورئاسة بطرس عليها وكعقيدة النعمة واتّفاقها مع حرّيّة الانسان وكاكرام الصوَر وشفاعة القديسين الذين يحصلون على السعادة حالّاً بعد انتقالهم

وفيها كذلك اشارات شتّى الى عادات الكنيسة القديمة كدهن المذبح بالزيت المقدّس ومسح الموعوظين بالزيت وعمادهم يوم سبت النور ووضع صليب خشب ضمن جرن المعموديّة وتقبيل القربان الاقدس في القداس والانكفاف عن شرب الخمر ايّام الصوم ومسح وجه الميت بالزيت وغير ذلك ممّا يصوّر احوال المسيحيين الاقدمين تصويرًا لطيفًا حيًّا

وكنّا نودّ ان نختم هذه النبذة بامثلة نقتطفها من هذا السفر الجليل لولا ضيق المكان فنكتفي بذكر نُتَف قصيرة منه ترغيبًا للقرّاء في مطالعة الكتاب . قال في المدراش التاسع عشر عن ميلاد المسيح :

بميلادك ايها المسيح قد نشرتَ الخلائق الميّتة ( بالخطيئة ) اذ برزت من احشاء ( مريم ) الجسديّة واظهرت نفسك ( للعالم ) وقد برزت اوّلًا من حضن الآب بميلادك الازليّ فاخزيتَ العالم ( البشرى ) واني لمنذهل لكليهما حيث انّ بك حيي الضالّون وبك أُخزي المتطرّفون بالبحث

ثمّ اتّسع في وصف المولود الى ان قال :

انتَ المرآة الوضيئة التي وُضعت بازاء اعين الشعوب فالشعوب بها نالت عيونًا خفيّة ومنها اقتربت فعاينت قبح سلوكها وترّعت نفسها . لا بل استعانت بهذه المرآة فرحضت آثامها واظهرت للعيون محاسنها . طوبى لمن يطهّر عيوبهُ ببهائكِ (ايتها المرآة ) ويصوّر مثالكِ في نفسهِ . .

انتَ السنبلة البهيّة التي زكت بين الزوان الممقوت واشبعت الجياع دون عناء بخبز الحياة . هي هي التي حلّت اللعنة التي غُلّ بها آدم ذاك الذي بعرقهِ اكل خبز الاوجاع والاشواك . طوبى لمن يذوق الخبز الربّاني المبارك ويزيل عن نفسهِ اللعنة

ومن اقوالهِ في بطرس الرسول في المدراش الخامس عشر :

طوباك يا سمعان بطرس فانك تمسك بيديك المفاتيح التي اصطنعها الروح القدس . ما اعظم وما اشرف الكلمة التي منحتك السلطة لتربط وتحلّ من فوق وفي اسفل . وطوبى للرعيّة التي سلّمها لك الرب . فانّ خرافك قد نمت نموًّا عجيبًا منذ نصبتَ الصليب في المياه ( اشارة الى وضع الصليب

في جرن المعمودية) . . . انك قد جُعلت كراس لجسم اخوتك وكلسان لهم . . . لما رأى ابنا زبدى عرش بطرس طلبا من سيدهما ان تعطى لهما عروش مثلهُ لكنَّ هذا الوحي لم يُوحَ بهِ الاب الّا لبطرس الذي هو الصخرة النير المتزعزعة

فنختم هذه الامثلة بتكرار الشكر لهمّة غبطة السيّد البطريرك الذي اظهر هذا التأليف الى حيّز الوجود بعد ان كان معرَّضاً للدثار ثمَّ نحضُّ الراغبين في مطالعة الآثار القديمة ان يقبلوا عليهِ ويلتقطوا منهُ اسنى الفوائد

# التجارة في القرن التاسع عشر

نظر في تقلُّباتها ونواميسها الجديدة للاب هنري لامنس اليسوعيّ

انَّ الاختراعات العجيبة التي دوَّنها تاريخ العلوم والتي بها تمهّدت الطريق لما هو اعظم شأناً وارفع قدراً ليست بالفضل الوحيد العائد على القرن المنصرم . فانَّ لهُ ايضاً اليد الطولى في تقدُّم التجارة فحوَّر النواميس التي كانت جاريةً عليها من ذي قبل . وقصدنا في هذه النبذة ان نوقف قرّاءنا الكرام على اهمّ تلك التحويرات

واوَّل ما تأثرت بهِ التجارة فزاد رواجها انتشار الادَوات الميكانيكيَّة في عالم الشغل فان بها توفَّرت الارزاق وامتدَّت الثروة العموميَّة . وبسببها خفَّ شغل العملة المادّي حتى صار عملُهم ارقى واعقل . ومن جرَّائها خصوصاً تسهّلت واتّسعت المعاملات بين الشعوب كما انَّها قرَّبت الوسائل لترقيات أُخرى عتيدة

وكانت حالة التجارة حتّى اوائل القرن التاسع عشر اشبه بحالة الامم فانَّها كانت متروية معتزلة في قطر دون آخر . وكانت كلّ دولة متشبّثة بناموس حماية تجارتها تبالغ في صيانتها من مزاحمة جاراتها فتنشئ الحواجز المنيعة حول تخومها من دواوين وحرس كما يفعل اهل الارزاق بوضع الاسيجة المشوكة حول املاكهم . ثمَّ رأت بعد ذلك انَّ في فعلها لشططاً اذ تبعد عنها مرافق البلاد وتترك الوطن في عزلة سيئة بينما التجارة تطلب التقرُّب والموالات بين الشعوب

بيد انَّ شغل الادوات كان يزداد يوماً بعد يوم حتى ان محصولات بعض البلاد كانكلترة مثلاً أربت بعد حين على مقطوعيَّاتها وهذا ما دفع الدول الى عقد معاهدات تجاريَّة بنوها

على شروط متبادلة وتسهيلات في المعاملات والجوازات الديوانيّة ينتفع بها الأمّتان المتعاهدتان . واوّل عهد تجاريّ توثّق بين الدول انّما كان بين فرنسة وانكلترّة سنة ١٨٦٠ ثمّ استحسنتهُ غيرها من الدول فجرت على موجبهِ ودخلت هذه العهود بعد ذلك في سلك المبادي التي ألفتها الشعوب في معاملاتها ونالت منها كلّ جدوى وفائدة ثمّ أُنشئت بعد حين السكك الحديديّة وترقّت الملاحة البخارية فزادت الحاجة الى مثل تلك المعاهدات الدوليّة

وممّا ساعد على توسيع نطاق المعاملات التجاريّة عامل آخر غاية في الخطر نريد الثقة العموميّة بين المتاجرين ( الكريديتو ) فانّها كانت قبل ذلك محصورة في بلاد معلومة ثمّ اتّسعت حلقتها حتى كادت تعمّ كلّ الدول فأُنشئت اوراق الحوالات (البوالص) والسفاتج العموميّة وشركات المصارف والترويج ثمّ حُسنت المعاملات الماليّة فحصل بكل ذلك ترقٍ عظيم في المتاجرات لم يعرف لهُ مثال سابق . وكانت النقود في الوقت ذاتهِ تزيد وتنمو حتّى ان المسكوكات التي كانت تبلغ سنة ١٨٠٢ نحو ٢٥٠ مليونًا من الفرنكات زادت على ذلك نحو ثلاثة اضعاف سنة ١٨٥٠ وهي اليوم تتجاوز مليارين ونصف من الفرنكات

ومن فضل هذه التحسُّنات انّها زادت في ثروة الافراد وغنى الشعوب ورفعت أُجرة العَمَلة وحسَّنت اسباب المعاش وخفّفت معدّل الموتى فنتج عن كلّ ذلك نهضة في الهمم لم تُعهد سابقًا . وجرى ايضًا بين الدول التسابق التجاريّ وسعى الناس في ربح الاسواق ليفوز بعضهم على بعض وتضاعفت بهذه المجاراة حركة الاشغال وجودة الاعمال اذ لا شيء كالمزاحمة لتنشيط الهمم البشريّة

والى السنة ١٨٧٠ لم ترَ بين الدول الاوربيّة من يفكر في التجارة مع الخارج الّا الدولتين السابق ذكرهما . امّا منذ السنة ١٨٧٠ فقامة المانية وعارضت انكلترّة وفرنسة ولم تزل تُجاريها في مدّة ثلاثين سنة حتى تمكّنت من الفوز بقصبة السبق على فرنسة وتهدّدت تجارة انكلترّة وذلك بتوفر سكّانها وترقّي صناعتها وزراعتها ومتجرها (١ ثمّ دخلت في هذا الميدان السلميّ الدول الصغرى كسويسرة وخصوصاً بلجكة فلعبت بهِ

---

١) راجع كتاب تاريخ التجارة لاوكتاف نوبل (Histoire du Commerce, III, 587)

دوراً مهماً واصدرت الى الخارج المحصولات المتوفرة عندها شاكرةً لله على سقوط الحواجز القائمة في وجهها وإزالة العقبات المتعرّضة لها . فتوصّلت بعد حين الى ان استعاضت بتجارتها ما ينقصها من سعة التخوم . ومما استنهض همم الدول الاوربيَّة دخول الولايات المتَّحدة في حومة هذه الحرب التجاريَّة مع ما لها من الاملاك الفسيحة والثروة الطائلة والترقي الصناعي الهائل فكان ذلك باعثاً لاوربَّة لتحفُّظ منها وتقتدي بمثلها

على انَّ هذا التوفر الزائد في محصولات التجارة كاد يكون خطراً لولا سعي الدول بتحسين احوال مستعمراتها النازحة . وكانت روسيَّة مدَّت سلطتها الى اقاصي سيبريا فبلغت الاوقيانوس الهادى . ثم عُرفت مجاهل افريقية وتعدَّدت فيها الاستعمارات الاوربيَّة فتوجَّهت اليها المحصولات التجاريَّة وأُنشئت فيها مراكز النفوذ لكلّ دولة . وزد على ذلك انَّ الصين بل كلّ الشرق الاقصى فتح ابوابهُ للمعاملات الدوليَّة فكأنَّ بهِ فُتح عالم جديد لمساعي البشر لتصريف اعمالهم الصناعيَّة . كيف لا والصين وحدها ينيف عدد اهلها على ٤٠٠ الف الفٍ من النفوس اعني انَّها تزيد على ربع سكَّان الارض . فلله ما اوسع هذا المجال لمستقبل الصناعة والتجارة

ولكن قل لي يا رعاك الله لمن يكون السهم الأفوز في هذا الميدان ؟ لا شكَّ انَّ الفائز هو الذي يمكنهُ نقل محصولاتهِ بشروط اوفق واسعار اهود يرضى بها المشتري ويُقبل عليها . وان شئت فقل انَّ الفوز التجاريَّ في المستقبل يكون لايّ شعبٍ تتوفَّر لديهِ الموادّ الاوَّليَّة التي عليها مبنى الصناعة والتجارة اعني الحديد والفحم الحجري ويكون مالكاً على معامل تامَّة الاهبَّة قديرة على العمل . ثمَّ ينبغي لهذا الشعب ان توافقهُ حالتهُ السياسيَّة بحيث يستطيع عمَّالهُ ان يشتغلوا باجرة متهاودة . وهو شرط يزيد القيام بهِ في الدول الكبرى كلَّ يوم صعوبةً لانَّ مثل هذه الدول تُثقل عاتق اهلها بالضرائب وتكثر ديونها وتزيد قواها العسكريَّة . وذلك بخلاف الدول الصغيرة التي لخلوّها من هذه الاثقال تقوى على مجاراة الدول الكبيرة في تجارتها . ولعلَّ تلافي الاضرار الناتجة عن هذه الحالة سوف تحمل الدول على نزع السلاح وهو امر يشعر الجميع بضرورتهِ

وهاك بعض الارقام نثبتها هنا ايضاحاً لما بيَّناهُ على وجه الاجمال من اتساع نطاق التجارة . لمَّا ابتدأ القرن العشرون منذ عهد قريب كان طول السكك الحديديَّة في العالم اجمع بالتمام ٤٠٢,٠٠٠ كيلومتر تنقل في السنة ثلاثة مليارات من المسافرين واكثر من

مليارَي طنّ من السلع . وكذلك بلغت الاسلاك التلغرافيّة البرّيّة ١,٢٠٠,٠٠٠ كيلومتر طولًا والبحريّة ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر وكادت الاسلاك التليفونيّة تبلغ ٧٠٠,٠٠٠ كيلومتر وقد وُزنت الاسلاك التلغرافيّة فقُدِّر ثقلها بستّة مليارات كيلوغرام . امَّا السفن التجاريّة في العالم فتنقل ما يساوي محمول ٢٢,٠٠٠,٠٠٠ برميل وقد بلغت نفقاتها خمسة عشر مليارًا من الفرنكات . فهذه الارقام تولي معتبريها الحيرة والاندهاش لكنّها عبرة محسوسة تبيّن بوضوح ترقي التجارة في عهدنا على التجارة قديمًا

ودونك ارقامًا اخرى توقفك على المزاحمة التجاريّة بين الدول الكبرى في ترويج سلعها . تبلغ تجارة المانية الخارجيّة (وسكّانها ٦٠,٠٠٠,٠٠٠) ١٨ مليارًا من الفرنكات . وتجارة انكلترة (وسكّانها ٤٣,٠٠٠,٠٠٠) ٢٢ مليارًا . وتجارة بلجكا (وسكانها ٧,٠٠٠,٠٠٠) ٨ مليارات فلا ينقصها الّا نصف مليار لتساوي مجمل تجارة فرنسة . فلو قابلت الدول وساويت بين عدد سكّانها ومبالغ تجارتها تحقّقت انّ السبق لبلجكة على جميعها . وانّ لانكلترة المقام الثاني يقتضيها ان تزيد تجارتها الى نيف وخمسين مليارًا لتعارض بلجكة . ومن هذا ترى بطلان قول القائلين بانّ السبق في التجارة للبلاد البروتستانيّة وكلّ يعلم انّ بلجكة دولة كاثوليكيّة . فالدين الكاثوليكي لا ينفي اذن الترقي المادّي وثقوب العقل في تدبير الامور لا بل نراهُ يعوّض ما ينقص الدول الصغرى من جهة العدد ويمكّنها من مجاراة غيرها من الامم

وقد استندنا في تدوين الارقام السابقة الى كتاب نفيس ألّفهُ احد اساتذة مكتب الدروس التجاريّة العليا في باريس اسمهُ اوكتاف نويل . وقد دعا تأليفهُ بتاريخ التجارة منذ اقدم القرون الى ايامنا . وهاءنذا قد انجز قسمهُ الثالث والاخير (١ ومنهُ اخذنا النتائج التي استلخصناها آنفًا ومن احبَّ ان يقف على تفاصيلها المطوّلة مع بيان اسانيدها فعليهِ بمراجعة الاصل فانهُ يجد فيهِ كلّ ما يُطلب من الأسفار العاميّة من ادلّة وبيّنات وخرائط ورسوم وجداول للتقاويم فانّهُ حقيقةٌ من التُحف التي لا يستغني عنها كلّ من يُعنى بالدروس التجاريّة . جزى الله خيرًا مؤلفهُ

---

١) واسم الكتاب :

Histoire du Commerce du Monde depuis les temps les plus reculés par **Octave Noël**. — III. Depuis la Révolution française jusqu'à la guerre franco-allemande (1870-1871), *Paris, Plon-Nourrit* 1906, p. 684 avec planches.

# الطرق في بعلبك وضواحيها

بقلم الاثري الاديب ميشال افندي الوف

غنيٌ عن البيان ما كان لبعلبكَّ من الخطارة في المدنيَّة والترقي في العمران . فقد كانت في سالف العصور المدينة المقصودة في سوريَّة لحسن هوائها وطيب مائها واستفحال العصبية الوثنية فيها اذ كان يؤمها كثيرون من اهل المعرفة والصناعة للعمل في ابنيتها العظيمة والوفود من الزوَّار لاقامة المناسك الدينيَّة فيها . تلك اسباب جعلتها في مقدَّمة المدن السوريَّة بالثروة وازدهار التجارة وتقدُّم الصناعة . بل أنها وهي قائمة في ارض اختصَّتها الطبيعة بحسن التربة وغزارة المياه وسلَّطتها على سهل فسيح ترويه الجداول الوفيرة فيُنبت احسن الحبوب وأطيب الاثمار تحفُّهُ الجبال الشاهقة المزيَّنة باحراج الارز والسرو والشربين والسنديان واللذاب والمُول آويةَ اليها القطعان العديدة من الغنم والمعز حتى أنها لتلك الارض التي تدرُّ لبناً وعسلاً مفيضةَ الخيرات والبركات على اهالي هذه السهول . كل هذا وبعلبكُّ في متوسطٍ من الارض بين امهات المدن القديمة العامرة يطوي الركبانُ المسافة منها واليها بيومين من طرابلس وجبيل وبيروت وصيدا ودمشق وحمص ومعلولا ويبرود . فلا غرو أن تكون نقطةً مهمةً للمواصلات ومحطةً تتراحم فيها القوافل وتتسابق اليها رجال الجد والاقدام واهل التجارة من سائر البلدان مصدرين منها انواع تجارتهم الى بعيد الاقطار

كل هذه اسباب تريدنا تثبُّتاً في قِدَمية بعلبك وإن خَفيَت عن نواظرنا آثارُ اهليها الاقدمين . فهل لم يفطن الفينيقيُّون لهذا الموقع البديع وقد كانوا رجال الكدّ والعمل والقابضين على اعنَّة الاخذ والعطاء في سائر الامصار؟ لا لعمري فانَّ هذه الاسباب والاسم الفينيقي الذي نُعتت بهِ بعلبكُّ لأوضح دليل على كونها من اقدم المدن وانَّ الامم الشرقيَّة اتخذتها طريقاً للتجارة بين بلدانها والمدن الواقعة في وادي العاصي وعلى ضفاف الفرات . ولو لم تكن بعلبكُّ اقرب موصل لهذه البلاد لاتخذت السكك الحديديَّة طرقاً اخرى في غير سهلها ونفذت منهُ الى الشهباء وبلاد الفرات

*

اذا كانت بعلبكُ في صِلَةٍ دائمةٍ مع غيرها من المدن الكبرى وكان بينها وهذه سككٌ عامرة مُمَهَّدت لتخفيف العناء . اما الطُرُق الفينيقيَّة فلا نظن انها كانت غير تمهيد ما أستوعر من الارض اذ لا دليل لنا عمَّا كانت عليه . ولكن في العصر الروماني لم يألُ حكام البلاد جهدًا من توثير الطرق وفرشها بالحصباء والرمل مغموسةً بالكلس حتى تقوى على عوامل الطبيعة سنين طوالًا وتحمل الى هذه المدينة ما كانت تستلزم اعمالهم الخطيرة فيها حملةً من معدَّات البناء ولوازم الفعلة وصنوف البضائع

بيد ان كل هذه الطرق عفى اثرها في هذا الانحاء ولم تبقِ لها الايام رسمًا شأن كل شيء يعتوره الاهمال . ولكنَّ حضرة الباحث المدقق الاب هنري لامنس اليسوعي عثر على آثار الطريق الرومانيَّة « التي اصطنعوها بين جبيل وبعلبك وهي تمرّ في اعالي لبنان فوق العاقورة وهناك شِعبٌ بين جبلين تخرقهُ الطريق فتفضي الى بركة اليمّونة ثم تتسع وتمتدُّ فتصبح من احسن السكك الجبليَّة واتقنها لكن آثارها في منعطف لبنان الشرقي دارسة . ولعل هذه الطريق سبقت عهد الرومان وما لا مشاحَّة فيه ان الرومان تولوا اصلاحها وتوسيعها كما يؤخذ ذلك من كتابة لدوميطيانوس قيصر في آخر القرن الاول للمسيح وُجدت عند المكان المسمَّى بدراجة مار سمعان » (١

فان كان وجود هذه الطريق امرًا واقعيًا نظن بانها كانت الطريق التي نقل عليها الرومان تلك العُمُد الكرانيتيَّة الكبيرة التي كانوا يأتون بها من اصوان مصر على مراكبهم فيرمونها على ساحل جبيل ثم يحملونها على عجلات متينة تجرُّها الثيران على هذه الطريق حتى بعلبك وهنا كانوا يزينون بها المعابد (٢

---

١) المشرق . السنة الثانية (ص ٤٣٩)

٢) باحثنا مؤخرًا حضرة الاب هنري لامنس في امر هذه الطريق فوجدناهُ يشكُّ الآن بوجودها بين جبيل والعاقورة وامكان توغلها تلك الجبال الشامخة لوعورتها وشدة انحدارها وقد رأى بان الكتابات هناك لا تشير الَّا الى حدود بعض الاراضي . ويذهب الى وجود طريق من صور الى بعلبك مارةً في هضاب لبنان الجنوبيّ ومخترقةً سهل البقاع وانها لربما هي التي كان ينقل عليها الرومان الاعمدة الغرانيتيَّة الى هياكلهم في بعلبك

(المشرق) كان مرفأ صور اعظم المرافئ التي تحطُّ عندها السفن فمن هناك كانوا ينقلون العواميد من جنوبي السهل مجتازين بالسكك المطروقة وليس لدينا دليل قاطع على وجود طريقٍ رومانيَّة في هذه الجهة من سهل البقاع (ه . ل)

وقد اسعدنا الحظ بان عثرنا على دليل آخر للطريق الرومانيّة التي كانت تصل بعلبك بحمص المدينة التي كانت كما هي الآن ثغر البريّة ومَوْرِد القبائل المخيّمة في تلك السهول الفسيحة المتصلة بتدمر والضاربة حتى بغداد

فانّنا بينما كنّا في شهر تموز نمعن النظر في حجارة مبعثرة ومكتشفة حديثاً في ارض تدعى بتلّة الدير شرقيّ قرية جبُولة الواقعة شمالي محطة اللبوة وعلى مسافة عشرين دقيقة منها رأينا هناك رسوماً مسيحيّة منها بلاطة واسعة من حجر الكدان وعليها رسم صليب كبير بيزنطي ثم بضعة قطع اعمدة وقواعد وحجر كبير كأنّهُ مقطوع من عمود قطرهُ نحو المتر ونصف ومحفور بهِ جرن . وهناك ايضاً ابنية من حجر الكدان مغموسة بالكلس والقصرمل على شكل دائرة فارغة في وسطها . وبين هذه الآثار ركيزة عموديّة طولها ١٧٠ سنتيمترًا وقطرها ٤٤ سنتيمترًا وقاعدتهُ مربعة وهي من نفس الحجر وفي اعلاه آثار كتابة لاتينيّة محيت قصداً لجهل حفّارها قواعد اللغة وجُدِّد نصُّها تماماً بجانب الكتابة الممحية عبارة عن خمسة سطور طولها معاً ٤٥ سنتيمترًا وعرضها ٢٨ . واحرفها جميلة طول الحرف خمس سنتيمتر وهذا نص الكتابة (١):

| | |
|---|---|
| DDNNΓLVALERIO | ١ لسيّدَينا فلاڤيوس فالاريوس |
| CONSTANTIOET | ٢ قسطنطيوس ثمّ |
| GALERIOVALERIO | ٣ غالاريوس فالاريوس |
| MAXIMIANOCAESS | ٤ مكسيميانوس القيصرَين |
| CCLIVLAVGHEL | ٥ مستعمرة يوليا اوغسطا هليو بوليس |
| XVII | ٦ (الميل) ١٧ |

(١) وهذه قراءة الكتابة بتمامها D(ominis) n(ostris) Fl(avio) Valerio Constantio et Galerio Valerio Maximiano Caes(aribus) . C(o)l(onia) Jul(ia) Aug(usta) Hel(iopolis) XVII هذه الكتابة كما ترى تدلّ على الحجر الميليّ السابع عشر من بعلبك وهي مكتوبة باسم القيصرين كلورس ابي قسطنطين الكبير (ويدعى باسم مرقس فلاڤيوس ڤالاريوس) وغالاريوس (ويدعى قايوس فالاريوس مكسيميانوس) وكان كلاهما شريكاً في الملك لديوكلطيانوس امّا تاريخ الكتابة فمجهول يتراوح بين ١ آذار ٢٩٣ التي فيها نال قسطنطيوس وغالاريوس رتبة القياصرة و١ أيار ٣٠٥ حيث رقيا الى رتبة اوغسطوس باستعفاء ديوقلطيانوس وهذا الحجر الميلي هو الثاني من جنسهِ الذي وجد في الطريق بين بعلبك وحمص . وكان الاثريّان پاردريزه وفوسه (Perdrizet et Fossey) وجدا الاول في عرجون على بعد ثلاثة كيلومترات من تلّ ابي مندو في شماليها الشرقي وهو من التاريخ عينه لكنْ فيهِ اسماء اربعة قياصرة . وقد ذُكر في هذا الحجر اسم

فهذه الكتابة تنبئ عن بناء طريق رومانيَّة في زمن الامبراطور كلور قنسطنطيوس وشريكه في الملك غالاريوس مكسيميانوس وان في ذلك المكان كان الميل السابع عشر من مدينة هليوبوليس المشرَّفة باسم جوليا اوغسطا

فمن هذا الحجر الميلي يُستدلّ بان بناء هذه الطريق او تجديدها حدث بعد ان استقل قنسطنطيوس وغالاريوس بالملك واجبر القيصر ديوقلطيانوس وشريكهما الرابع مكسيميانوس على التخلي عن العرش القيصري في نحو السنة ٣٠٥ للمسيح

ولا يبعد اذًا ان هذه الطريق كانت تمرّ في هذه السهول الى حمص محاذيةً عن قريب نهر العاصي. ولربَّما كان يتشعب منها طريق اخرى الى بلاد عكار ومدينة طرابلس فقد اكَّد لي بعض سكَّان هذه الجهات بانهُ يشاهد في ارض تابعة لقرية راس بعلبك تدعى بارض «شوكان» اثار طريق قديمة درستها صروف الزمان حتى تكاد اثارها لا تظهر الَّا في بعض الاماكن التي يشاهد فيها حجارة مرصوفة الواحدة بجانب الاخرى فكأنَّها حفافي تلك الطريق. وقد يُعثر من مسافة الى أخرى بمثل ذلك حتى الجسر القائم اليوم على العاصي تحت قرية الهرمل. ومن هناك تنساب الطريق الرومانية في السهل مقاربةً السكة السلطانيَّة المستعملة اليوم حتى تتصل بحمص

اما طريق طرابلس فلا يبعد انها بعد ان تقطع جسر العاصي تنفصل عن طريق حمص وتمرّ بوادي خالد تحت قرية اكوم ثم تتناول الطريق التي كانت بين حمص وطرابلس حيث هي الآن طريق العربات. وقد ذكر لي كثيرون انهُ لمَّا بُنيت طريق العربات هذه كان يُعثر في اقسام كثيرة منهُ على اثار الطريق الرومانية القديمة. فاذا تحقق والحالة هذه وجود الطريق الرومانية بين بعلبك وطرابلس نرجح بانها كانت هي الطريق التي استعملها الرومان لارسال العدد الغرانيتية من هذه الميناء البحرية الى مدينة الشمس. فانها لأقرب لبعلبك وأسهل من طريقٍ يُفترَض امتدادها من صيداء.

---

بعلبكّ وعدد الحجر. وقد وجد حضرة الاب س. رتزفال حجر ميلاً ثانيًا على مسافة ميل واحد من تلّ نبي مندوٍ في شرقيهِ مع ميلة الى شمالهِ الشرقيّ

واعلم انَّ في هذه الكتابة قد ضُوعفت بعض الحروف كالحروف D و N و S وهذا موافق لقواعد الكتابات الرومانيَّة الاثريَّة التي يضاعف في الفاظها الحرف الهجائي الاخير او يثلَّث او يربَّع على حسب عدد الاشخاص المذكورين فلمَّا كان الكلام هنا عن سيّدين وقيصرين ضوعفت الحروف D و N و S

# دير الزَّور

## لمعة في تاريخها ووصف احوالها

بقلم جناب الاديب عبد الكريم نوري استاذ اللغة الفرنسويَّة سابقًا بلواء دير الزور

ان دير الزَّور ( بفتح الزاي مصدر زارَ يزور زيارةً وزَورًا ) بلدة موقعها على شاطئ نهر الفرات العظيم في الجانب الجنوبي منهُ يحدّها جنوبًا برّ الشام وشمالًا ديار بكر وماردين وشرقًا الموصل وبغداد وغربًا حلب

ومن البيّن ان هذه البلدة لَعريقة في القدم ويستدلّ على ذلك مما يظهر فيها وفي أنحائها من العاديات والآثار القديمة العهد والتاريخ . فقد كانت اول امرها ديرًا لنسَّاك انقطعوا الى عبادة الله تحت قيادة رئيس لهم يدعى سرجيوس وذلك في عهد القياصرة الرومانيين ولكثرة ما احرزهُ ذلك الدير من الشهرة الطائلة اخذت الناس من كل صوب وحدب تتهافت على زيارتهِ افواجًا فغلب اسم الزَّور عليهِ ونُعتت البلدة بهِ من باب تسمية الكل باسم جزئهِ . وقد عُرفت هذه البلد قديمًا بغير هذا الاسم كدير الشعَّار ودير العصافير وغيرهما مما هو محفوظ عند اهل الشام والعراق الى يومنا هذا

### نظر في تاريخها

ولمَّا تولَّى عمر بن الخطاب امر الخلافة الاسلاميَّة سنة ١٥ ﻫ (٦٣٧م) بعد أبي بكر الصديق بعث خالد بن الوليد بعدد عديد من المقاتلين الى بلاد سوريَّة وما بين النهرين ليفتتحها فسار خالد بمن معهُ وتوغَّل في البلاد السوريَّة فافتتحها عنوةً وبعد فراغه من افتتاح حلب والاستيلاء على حصنها المنيع في عهد صاحبها يوحنا سار يريدُ بلاد ما بين النهرين فمرَّ في مسيرهِ بدير الزور فاستولى عليها واهلُها يومئذٍ على دين النصرانيَّة واليهوديَّة امَّا دير النسَّاك فخرب وأُقيم في مكانهِ مصلًّى ويعرف في يومنا هذا بالجامع العمري ثم شخص منها خالد غازيًا الى بلاد ما بين النهرين

واخذ المسلمون منذ ذلك العهد يتواردون اليها زرافاتٍ من العراق وغيرها من الامصار السحيقة لحسن موقعها الجامع بين جودة الهواء وغزارة المياه ولا سيما أولي الاملاك والمواشي منهم ابتغاء لكثرة أريافها وانتجاعًا لمراعي ابلهم منها . اما المسيحيون فتصدَّع شملهم شيئًا وشيئًا ومنهم من دان بالاسلام

وكان يتولى تدبير القوم الشيوخ منهم تارةً وطوراً .مشايخ القبائل الراحلة من مثل الموالي والعقيدات وغيرهم من الغزاة المنتشرين في بقاعها فيستوفون منهم الجزية دون قاعدة راهنة ومكثوا على تلك الحال الى السنة ١٢٨٠ هجرية حيث قدم البلدة من الاستانة السردار اكرم عمر باشا شاخصاً منها الى بغداد حيث أُقيم عليها والياً . فلمّا رأى اهلها وما هم عليهِ من الاحوال لا ينتظم لهم امر بالحكم اقام عليهم ضابطاً مع نفر من الجند ليقوموا بامر تدبيرهم وتركهم ونحا نحو بغداد وأعلم بما كان ولاية حلب التي كان متقلداً زمام رعايتها يوم ذاك ثريا باشا . فلمّا كانت سنة ١٢٨١ اقبل ثريا باشا وفي صحبتهِ قائم مقام عسكرية حلب عمر باشا وعدد غير يسير من العسكر فوكل ادارة شؤونهم الى عمر باشا ريثما يتسنّى لهُ تعيين قائم مقام عليهم وانكفأ عائداً الى حلب

اما عمر باشا هذا فقد ابدى في وكالتهِ من الهمّة وشدّة الحزم والعزم ما خلّد لهُ ذكراً في قلوب الاهلين طرّاً ويُعرف عندهم بابي منقور سمّي بذلك لنقرةٍ كانت في أنفهِ . ولكن لم يطل عهد وكالتهِ ستة اشهر حتى تعيَّن خليل بك قائم مقام على الزور للمرة الاولى وذلك سنة ١٢٨٢ ولم تكد تستقرّ لهُ قدم في الزور حتى أخذ يصرف أقصى ما يجد اليهِ السبيل من الجد والجهد فيما ينهض القضاء ويعزّز شأنه فكان اول ما همّ بهِ وعوَّل عليهِ انشاء دار للحكومة السنية للمرة الاولى في موقعها الحالي وتشييد ثكنةٍ ومستشفى للعساكر الشاهانية ولم يمضِ على حكمهِ حول حتى تعيَّن بمكانه سنة ١٢٨٣ احمد حلمي افندي فقام هذا بمهمّتهِ زهاء ستة اشهر بما بهِ من النشاط والهمّة وفي منتصف السنة نفسها وليه في القضاء عثمان افندي فبعد ان ساسهُ نحواً من سنتين أُحيل القضاء الى لواء فأُقيم عليهِ متصرّفاً لاوَّل دفعة حسني باشا سنة ١٢٨٥ فقضى هذا نحبهُ في الزور لستة اشهرٍ مضت من متصرفيتهِ وعقبهُ في الحكم من السنة عينها ارسلان باشا فجاء هذا وجعل يسعى جهدهُ في تنظيم شؤون اللواء وتوثيق الاهلين بعرى الطاعة للدولة العلية بهمّة واقدام لا يعرفان الكلال حتى اذا اجتمع لهُ ما أراد من أمرهِ سار يُريد مَن حولهُ من القبائل الراحلة من مثل الجبور والعقيدات وشمّر وعنزة والموالي وغيرهم من الغزاة المنتشرين في ربوع الزور فذلّلهم وخضد من شوكتهم حتى كانوا لهُ أطوع من ثولب فعاد منهم بغنائم وافرة واستولى بعد ذلك على كثير من القرى والضواحي المطيفة بالزور وجعل العاشرة والدقة منها مركزي قائمقامية والحقهما باللواء ثم وافتهُ

منيَّةُ لسنتين من حكمهِ واخذت النصارى في عهدهِ تتسرَّب الى الزور

ثم خاف هذا عمرُ باشا سنة ١٢٨٧ لم يكن اقلَّ من سالفه غيرةً واقداماً فانهُ لمَّا رأى ان قد استتبَّت الراحة وقرَّ الامن في نصابه اخذ يصرف النظر الى ما من شأنهِ ان يرقي اللواء في مراقي النجاح والفلاح فكان مما فكر فيهِ وعزم عليهِ انشاؤه مكتباً رشدياً لتهذيب احداث الوطن وتخريجهم في المعارف والآداب ثم اقامتهُ مستشفى وثكنة للعساكر الشاهانيَّة ومتنزَّهاً عمومياً الى غير ذلك مما لا يزال الى يومنا هذا يثني على الهمَّة العُمَريَّة ما بقي لهُ معلم على وجه الغبراء ولم يحدث شيء من التغيير مع تقادم عهده سوى المكتب الرشدي فانهُ في الحول المتخرّم جُدّد بناؤهُ على طرزٍ بديع الهندسة واسع الارجاء بهمَّة سعادة متصرفنا الحاليِّ الافخم

ثم تولَّى الحكم بعد هذا قاسم باشا عام ١٢٩١ وتخلَّى عن منصبهِ لنحو سنتين من حكمهِ فعقبهُ في المتصرفيَّة حسين باشا الحلبي سنة ١٢٩٣ فبعد ان ساس اللواء نحواً من سنةٍ او تزيد أعرب فيهما عن غيرة واقدام تولى الحكم من بعدهِ علي باشا الشريف زهاء ثلاث سنين وقد كان لواء الزوار فيما مضى تابعاً لولاية حلب فلمَّا عُهد امره الى حسن باشا الفريق سنة ١٢٩٧ انفصل اللواء المذكور بنفسهِ واخذ يرجع في الامور الى الاستانة العليَّة توّاً وجعل في حكم الالوية المستقلَّة وهو لا يزال كذلك الى يومنا هذا

ثم أُقيم خلفاً لحسن باشا هذا محمد رشيد باشا سنة ١٢٩٩ وغب مرور سنة من حكمهِ قام بامر اللواء محمد رشيد باشا سنة ١٣٠٠ ولم يكد يتمّ السنة حتى وليهُ في المتصرفيَّة يوسف طالع باشا سنة ١٣٠١ ثم عقب هذا الاخير ابراهيم باشا لستة اشهر مضت من متصرفيَّتهِ فجاء هذا وجعل يفرغ كنانة جهده في نشر العلوم وتوسيع نطاقها في اللواء علماً منهُ بانها باعثٌ عظيم على عمران اللواء وارتقاء اهاليهِ في سلَّم الحضارة والتمدن ولذلك عمد الى تشييد مكتبين صناعي واناثي واحدث في غير ذلك من المكاتب الانشاءات الخطيرة تعميماً لفائدة العموم وكان فيما قبل كلفاً بالعلوم مولعاً بحفظها ولكن لم يطل عهد حكمهِ سوى سنتين

فلمَّا كان عام ١٣٠٣ خلفهُ في المتصرفيَّة احمد توفيق باشا فساس هذا اللواء زهاء خمس سنين بحكمة واقدام وفي عهدهِ جرى سيل نهر الفرات العظيم فطغى وبغى حتى

غدا النهر بقسميهِ الصغير والكبير نهرًا واحدًا على ما بينهما من بُعد الشقَّة فكان يخال للناظر اليهِ بحرًا عرمرمًا واحتمل من السوام والبيوت شيئًا كثيرًا وذهب عدد غير يسير من الناس فريسةً لهُ. هذا فضلًا عما نالهُ بهِ الاهلون من المضار بسبب هلاك الزرع وفيما أتلف وأخرب دار الحكومة السنيَّة والجسر المقام على القسم الاصغر من نهر الفرات فابتدر سعادة المتصرف المشار اليهِ تجديدهما بهمَّة واقدام لا يشوبهما مال فما كانت الَّا بضعة اشهر حتى جاءا على احسن ما يرام من جودة الهندسة والمتانة ويُعرف ذلك الفيض عند الاهلين بالطامَّة

ثم تولَّى الحكم بعد هذا حافظ باشا سنة ١٣٠٧ وسعى ايام متصرفيتهِ في تمديد السلك البرقي من حلب الشهباء الى اللواء تيسيرًا للمراسلات الرسميَّة والشؤون التجاريَّة فصدرت الارادة السنيَّة آذنة بذلك وتمَّ امتداده في عهد خلفه عطوفتلو صالح باشا الذي خلفهُ في المتصرفيَّة لستة اشهر خلت من حكمهِ لمكان تسميته واليًا للبصرة. وكان هذا الاخير مشهودًا لـهُ بحسن الراي والتدبير يُحسن السياسة في الرعيَّة ولمَّا عُين لأن يكون واليًا للموصل عهد أمرَ ادارة اللواء الى مصطفى رقمي باشا سنة ١٣١١ ولكن لم يطل عهد حكمه سنة حتى قام بامر اللواء من بعدهِ عطوفتلو اسماعيل زهدي بك. وكان هذا وزيرًا هماما وحاكمًا مقداما قصارى بغيتهِ انتشار العلوم والمعارف يؤثر العناء والنصب على الراحة والدعة ارادة تحسين شؤون اللواء وتقدمهُ ما استطاع الى ذلك سبيلًا ولم يكن يعدله أحد ممَّن مضى قبلهُ من الحكام حكمةً وذكاء وسعة مدارك واقترح انشاءات جليلة تُذكر فتشكر منها المستشفى الحميدي البلدي البديع الهندام فقد مضى على تشييدهِ نحو من ثماني سنين وهو يؤدّي خدمًا جليلةً للوطن ومنها الجامع الحميدي القريب في هندستهِ ثمَّ انشاؤه في النواحي والقرى التابعة للواء من المكاتب الابتدائيَّة ما ينيف على العشرين عدًا الى غير ذلك مما لا يسعنا حصرهُ ما خلَّد لهُ ذكرًا معطرًا بالثناء الجميل

ولمَّا كانت سنة ١٣١٥ تولَّى امر اللواء احمد شكري باشا وعقب ان ساسهُ نحوًا من ثلاث سنين وافاه حمامهُ فيـهِ فنصب بمكانهِ عطوفتلو احمد رشيد باشا متصرفنا الحالي الافخم لا زالت ايام حكمهِ مقرونة بنواصي التوفيق والاقبال. وكان لوفودهِ الكريم في ظلِّ الحضرة العلية السلطانية احسن وقع في نفوس الاهلين لما عهد بهِ

من الحكمة وسداد الراي وعلو الهمّة وقد حقق اماني الرعية فيه بما يريها في كل آن من الاعمال الخطيرة وما يبذلهُ من السعي والجدّ في جنب مصلحتها وتقدم اللواء في معارج الفلاح ولهُ من المآثر الغرّاء ما من شأنها ان تخلّد لـهُ في بطون الاوراق ذكرًا مقلّدًا بقلائد الشكر من ذلك استئنافه بناء المكتب الرشدي على نمط لم يُسبق لهُ مثال من الهندسة ودقة النظام كما سبقت الاشارة الى ذلك ثم تشييدهُ دارًا للمتصرفيّة جاء على احسن منوال من حسن الموقع وزخرف البناء هذا فضلًا عمّا ينفقهُ من السعي والاقدام في انجاز بناء الجسر المقام على القسم الاعظم من نهر الفرات الى غير ذلك مما يبذلهُ من النفس والنفيس في سبيل عمران اللواء وتوفير اسباب رفاهيته مظهرًا للعدل والنزاهة طبقًا لرغائب صاحب السلطنة العظمى

٣ وصفها

هذا ومما لا مغالاة فيه ان موقع دير الزور من احسن المواقع وقلّما شوهدت بلدة فازت من محاسن الطبيعة بمثل ما فازتهُ الزور من نهر عظيم قد اعترض امامها في الجهة الشماليّة منها فاشرفت عليه ومن امامه البساتين الغنّاء والرياض الفيحاء هي أشبه شيء بتاج سندسي قد كلّلهُ ذلك النهر ومن سهول رحبة ووديان خضرة نضرة قد انبسطت في الجهة الجنوبية منها كانها بسط من الزمرُّد فقام من ورائها الجبل المعروف عندنا بالجبل الاسود على مثال سور يقيها هجمات العدوّ الى غير ذلك من المناظر الشائقة والمشاهد الرائقة التي من شأنها ان تستلفت برونقها الابصار وتأخذ محاسنها بالانظار

ثم ان للزور كما لغيرها من البلاد المتوغلة في القدم بلدتين قديمة وحديثة. اما القديمة فواقعةٌ الى شمال الحديثة وهي تخالُ لناظرها عن بعد كركام خرابات تعلو بعضها فوق بعض على شكل درج. فازقّة هذه وشوارعها هي بمكان من الحرج والضيق ويكاد السائر يضلّ فيها لمكان ازدحامها واعوجاج معابرها وتكثر فيها الاقذار والاوساخ التي كثيرًا ما تكون باعثًا تنبعث عنهُ الادواء المضرّة بصحة الاهلين ولا سيّما في حمارّة القيظ اذ تغلب فيها الوخامة ومع تعدّد دورها لا تكاد تشاهد فيها دارًا منتظمة الّا ما ندر وقلّ مما لا يجاوز عدد الانامل

اما بنايات البلدة الحديثة ومنازلها فهي من النظام والترتيب بحيث تريد الّا النادر منها واكثرها توفي على النهر والحدائق الفيحاء والاشجار اللمياء وفيها كثير من الجوادّ

العمومية اما اعظمها فهي الجادَّة التي تشقّ البلدة ويأخذ حدّها من الثكنة العسكرية حتى ينتهي الى الحي المعروف بحيّ شيخ ياسين فمنها تتشعَّب واليها تفضي بقيّة الدروب وقد كان المسير فيها قبلًا شاقًا لكثرة غبارها الذي كان تكاد الاقدام تغيب فيهِ الّا ان البلدية جزاها الله خيرًا قد عُنيت هذه السنة بتمهيدها وتحصينها حتى جاءَت وافية بالمرام وزد على ذلك انهــا قد فرشت على جانبيها النحيت من الآجرّ على ارتفاع ربع متر في عرض مترٍ ونصف متر في الغالب حتى غدا الممرّ فيها سهلًا هيّن المراس وقد فعلت ذلك في كثير من طرق الاحيــاء. ومن بديع انتظامها ان الاسواق التي تبلغ الثماني عدًا قد تخلَّلت هذه البلدة وهي على ادقّ نسق ونظام تأخذ بعضها باعناق بعض تنتظم بلبَّتها دار الحكومة السنيَّة المحكمة المبنى انتظام العقود في نحور الكواعب. ولدار الحكومة هذه اربعة مداخل من الجهات الاربع فالاثير فيها هو النافذ الى الاسواق وهو على أبدع شكل قد قامت من فوقهِ الطغراء الحميدية مكتوبة باحرف ذهبيَّة على احسن أُسلوب يأخذ بمجامع الفؤاد وفي هذه الدار من الردهات الرحبة والأبهاء المتَّسعة ما لا سبيل الى ذكرهِ وهي على اتمّ ترتيب يُطلّ اكثرها على النهر والحدائق النضرة والاشجار الغضَّة وغير ذلك من المشاهد الشائقة

امَّا اسواق هذه البلدة فحافلةٌ باصناف البضاعة وزد على ذلك أنهــا قد غدت موردًا تجاريًا لكثير من بلاد برّ الشام اذ فيها ما ليس في غيرها من انواع التجارة التي تحمل منها الى تلك الأمصار كالسمن والصوف والسمسم والمواشي وغير ذلك ممَّا هي غنيَّةٌ بهِ. بيد ان ما قد زادها رونقًا واتَّسعت بهِ احوالها توسُّطها بين البلاد العامرة من مثل حلب والشام والموصل وبغداد وقربها منها فهي على مسيرة ثمانية أيام من كل منها او تزيد ومفاد ذلك ما هي عليهِ من الارتباط المحكم بعلائق التجارة مع تلك البلاد المارّ ذكرها ولا يخفى على احد ما في ذلك من عظم النفع ما يُنبئها بمستقبلٍ باهر

على ان صناعتها ليست باقلّ رواج من تجارتها اذ يجد فيها المرء من الصنائع ما هو في حاجة اليهِ لمرافق الحياة وهي وان كانت الآن في حاجة الى غيرها من الصنائع زيادةً في رونقها بيدَ ان ذلك لا يمنعها من التقدم في المستقبل اذا قوبل بين ما هي عليهِ الان وما كانت عليهِ منذ بضع سنوات حيث لم يكن يجد المرءُ منها ما يسدّ بهِ خلّتهُ

اما زراعتها فمن احسن الزراعات لجودة تربتها وغزارة مياهها على انك قلّما تجد بلدةً

حوت من سعة الاراضي الصالحة للزراعة ورحابتها ما حوتهُ الزور. وهذه الاراضي يسقيها نهران عظيمان نهر الفرات والخابور. امّا الاخير فمصدرهُ من رأس العين وهو اسمٌ لقضاء لاحق بلواء الزور على مسيرة اربعة ايام منهُ ومصبّ هذا النهر في البصيرة وهي ناحية داخلة في حكم اللواء المذكور تبعد عنهُ زهاء خمس ساعات وكانت تُعرف قديمًا باسم قرقيسيا. وتوغل هذه البلدة في القدم مما لا يجهلهُ من وقف على تاريخها واستطلع طلعة خبرها. هذا وقد بُنيَ في جوف نهر الخابور السابق ذكرهُ من السكور الشاهقة ما لا احصاء لعدّه قد قامت من فوقها الأرحاء لسقي تلك الاراضي الواسعة لكنّ اكثرها لا يزال قفرًا يبابًا على خصبها وان لنا من وثيق الامل انها ستعود الى عمرانها بمرّ خط قونية الكبير بها فتكون زاهية بالخيرات مأهولة بأهلها ويمهدّ ذلك للاهلين سبيل السعادة والفلاح بفضل الحضرة السلطانيّة العليّة على رعاياها في تلك الامصار

على ان اللواء المذكور كان يضمّ تحت سلطته في اوّل امره من الاقضية ما يناهز العشرة عدًّا فضلًا عن المديريّات او النواحي واليوم يملك من الاقضية ثلاثة فقط وهي رأس العين والعشارة والبوكمال. ومن النواحي اربع وهي تدمر والسخنة وكوكب والبصيرة

على انّ العشائر اللاحقة بالاقضية والنواحي الملمع اليها هم في الغالب من ارباب الزراعة والفلاحة لا يشغلهم عنها شاغل الّا متى طرأ عليهم طارئ سيل نهر الفرات فيصرفون عنها حينًا من الزمن. ولسيل الفرات هذا زمن مضروب في بحر السنة مبدأهُ من غرة أيار حتى اذا كان آخر شهر حزيران يرجع من ثمّ الى ما كان عليه سابقًا من النظام الطبيعي في المجرى ولقد ينجم عن سيله في بعض الاحيان من المضارّ في الزرع اذا اشتدّت وطأتهُ وقويت شوكتهُ كما لا يخلو توسّطهُ في الامر من المنافع حيث لا يرجع القهقرى الّا وقد نالت الارض منهُ حظًا وافيًا من الريّ فتدخل اذ ذاك في طور جديد من الطراءة والليونة ويذهب بعض المؤنة والعناء عن الفلاح الذي يعاني في سبيل سقيها بالدلاء ما يعاني فتبارك الله من خالق حكيم

هذا وان اللواء يحتوي من النفوس مع ملحقاته على نحو مائة الف ما خلا القبائل الراحلة فاولئك يبلغون الستين الفًا او يزيدون. امّا مركز اللواء فلا يتجاوز عدد سكانه الخمسة عشر الفًا وهم مسلمون في الغالب وفيهم من النصارى ما يبلغون الثلاثمائة

تقسم بين سريان وارمن وكلدان وروم · وفي اللواء من الجوامع خمسة ومن الكنائس اثنتان للسريان والارمن (١ واماً من المكاتب ففيه ثلاثة اثنان منها ابتدائي والآخر رشدي فيُدرَس في هذا الاخير من اللغات اربع التركية والعربية والفارسيَّة والافرنسية · بيد ان هذه الاخيرة قد أُدخلت من نحو سنتين في سلك اللغات بهمَّة عطوفة متصرفنا الحاليّ الافخم ذلك ليكون منها إلمام لمن يتسنَّى لهُ الدخول ترفيعاً في المكاتب الاعداديَّة في الولايات العظمى من مثل حلب والشام وبغداد وغيرها بعد ان يكون قد انجز دروسهُ في المكتب الرشدي وحاز الشهادة المؤذنة بذلك وهو إنعام نالهُ اللواء منذ عهد غير يسير من لدن نظارة المعارف الجليلة أيدها الله · وقد تخرَّج في مكتب اللواء هذا عدد لا يحصى عديدهُ من الشبَّان شهد لبعضهم بطول الباع وسعة الاطلاع في اللغات الثلاث الاولى فمن هؤلاء من انخرط في سلك مناصب الحكومة السنيَّة ومنهم من تقلَّب في غير ذلك من الوظائف لا زال اللواء راقياً مراقي النجاح والفلاح في ظل صاحب الشوكة والقدرة مولانا وسلطاننا الاعظم أيدهُ الله بالنصر المبين وخلَّد ملكهُ ما ذرَّ بدرٌ وطلع قمر بمنهِ وكرمهِ ان شاء الله

## مطبوعات شرقية جديدة

PAUL ALLARD : **Dix leçons sur le Martyre**, Paris, Lecoffre 1905. In-16° XXX-374 pages.

عشرة دروس في شهداء النصرانيَّة

لمَّا ارسل السيّد المسيح تلاميذهُ الى العالم ليبشّروا باسمهِ صرَّح لهم قائلاً (اعمال ١ : ٨) : « ستكونون لي شهودًا في اورشليم وجميع اليهوديَّة وفي السامرة والى اقصى الارض » وقد دعاهم بهذه آية ليس فقط الى اعمال الرسالة والتبشير بل الى تضحية نفوسهم لاجل اسمهِ · فاستشهد الحواريون وبذلوا حياتهم دون سيّدهم وتبعهم النصارى في كلّ قرن وماتوا بطيب القلب في سبيل ايمانهم · ولو عدَّ شهداء الدين المسيحيّ لبلغوا ألوف الالوف · وممَّن كتبوا في هذه الازمنة الاخيرة اخبار الشهداء احد اساتذة

---

١) وفي رحلة الدكتور البارون فون اوبنهيم (Von Mittelmeer z. pers. Gulf, I,332) الحديثة انَّ عدد المسلمين من ٦٠٠٠ الى ٨٠٠٠ وعدد النصارى ٧٠٠ (المشرق)

المكتب الكاثوليكي في باريس اسمهُ بولس ألارد (P. Allard) لهُ في مجلّدات عديدة تاريخ اضطهادات القياصرة في قرون النصرانيَّة الاولى مستنداً فيها الى كتابات القدماء من وثنيين ونصارى والى الآثار والعاديَّات المكتشفة في دياميس رومية فجاءت تآليف اصحّ واضبط ما كُتب في هذا الشأن. وقد استلخص المؤلف بنفسهِ ما كتبهُ في مصنَّفاتهِ المتفرّقة فجعلهُ على شكل خُطب القاها في شتاء سنة ١٩٠٥ امام نخبةٍ من اعيان باريس وعلمائها وهي عشرٌ عدًّا افتتحها بنظر عموميّ في انتشار النصرانيَّة العجيب على يد تلامذة المسيح الذين اشهروا الحرب على اصنام الامم فقام الوثنيُّون للدفاع عنها ومدّة مئتين وخمسين سنة بنيف لم يزالوا يضطهدون النصارى في كلّ انحاء العالم الرومانيّ واتخذوا كلّ الوسائل الممكنة ليستأصلوا شأفة الدين الجديد فطاش سهمهم فالمسيو ألارد في كتابهِ قد اعمل النظر في هذه الاضطهادات ليس كمؤرخ بل كفيلسوف فبحث اوَّلًا عن القوانين التي سنَّها القياصرة مرَّةً بعد اخرى لمصادرة النصارى ثمَّ اردف ذلك بتعريف المضطهدين ثم بتعريف ضحاياهم. ثم بوصف الدعاوي المقامة على الشهداء. ثمَّ ببيان اصناف العذابات التي ضُودروا بها من سيف ونار والقاء للسباع وتسمير على الصليب الى غير ذلك من المحن التي اوحى بها الابالسة لإبادة دين الحقّ. وقد ختم الكاتب العالم هذه الفصول بدرس أخير بيَّن فيهِ انتصار الشهداء على مضطهديهم بما جرى لهم بعد وفاتهم من المجد والاكرام فأُقيمت على اسمهم المعابد وصارت ذخائرهم معظَّمةً كاعضاء اولياء الله وعبادهِ الكرام فجازاهم احسن جزاء على صبرهم حتَّى في هذا العالم. ومن النتائج التي استنتجها المؤلف انَّ موت الشهداء وحدهُ لكافٍ للدلالة على سموّ دين اصحابهِ وصدق تعاليمهِ اذ لولا ذلك لما استطاعوا احتمال كلّ هذه المحن لديانة باطلة

ل. ج

## كلمة شاعر في وصف خطب نادر

نظم الشاعر الناثر امين ظاهر خيرالله

طُبعت في نيويرك بمطبعة جريدة مرآة الغرب سنة ١٩٠٦

كان صاحب هذا الكتاب يتحفنا وهو في بيروت حيناً بعد آخر بتآليف حسنة ومقالات يثني قرَّاؤها على مضامينها وحسن سبكها وسلامة ذوق كاتبها. وها هوذا اليوم قد اطلق في اركة العنان لقلمهِ فأتى باعمالٍ اخرى ليست دون السابقة في شيء.

منهـا هذا التأليف الحديث الذي وضعهُ في نكبة صُدعت القلوب بانتشار خبرها نريد زلزال مدينـة سان فرنسيسكو الذي دهم احدى حواضر العالم فكاد يجعلها قاعاً صفصفاً (راجع مقالـة الاب كولنجت في هذا المصاب في المشرق ٩ : ٤٨٥) فلا بدع ان تكون هذه الفاجعة شحذت قريحة احد شعرائنا فنظم فيها عقوداً غوالي تتحلى بها جيأد الآداب . لكنَّ صاحبها الاديب لم يشأ ان يسلك في ذلك المسالك المطروقة بل تفنن في اوصافهِ ايّ تفنن ليستنزف الدموع على من مُنوا بهذا المصـاب . وقد استعان لبلوغ غايته بذكر الحقائق العلميَّة والعلوم العصريَّة وما هو افضل من ذلك انَّهُ استقى من موارد الكتاب المقدَّس الغزيرة وتمثَّل بجوادثهِ فكان لكلامهِ احسن وقع في القلوب لما في آيات الوحي من بلاغة المعاني وسموّ الخواطر . وقد بلغت شذور هذا الديوان ٢١٠ شذرة تتألّف الشذرة من اربعة ابيات وترى بين الشذرة والشذرة علاقة فكأني بهـا السلسلة الذهبيَّة لا ينتقل القارئ من احدى حلقاتها حتى يرى في شقيقتها ما هو احسن وأطلى . ومما يزيد فضل منشئها انهُ وضعها في وقت قليل لا يتجاوز بضعة اشهر . فنشكر جناب المؤلف على ديوانهِ ونضاعف شكرنا على ما ضمَّنهُ من التعاليم الادبيَّة والدينيَّة معاً ونخصُّ محبّي النظم الرائق الخالي من التعقيد على اقتناء هذا الكتاب ل . ش

# شذرات

**قبة الجامع الاموي** كانت الذات الشاهانيَّة رخَّصت لبعض علماء الالمان ان يفحصوا في دمشق ما تحويهِ قبَّة الجامع الاموي من المخطوطات على رقّ الغزال . فخصَّ العلَّامة فيوله (H. Violet) اشهراً في مراجعة هذه الآثار المنثورة ثمَّ طبع منها مقاطيع نفيسـة ألمعنا اليها سابقاً . واليوم قد وقفنا على قائمة هذه المخطوطات ومضامينها للعلَّامة فون سودن . وجد بينهـا (اوَّلاً) بعض قطع لاتينيَّة من القرن العاشر منها رسالة لبغدوين الرابع وجَّهها من اورشليم الى بعض التجار . ومنها كتابات طقسيَّة تصاوير ملوَّنة غاية في الحسن . (ثانياً) بعض شذرات منظومة في الفرنسويَّة القديمة من جملتها قصَّة مريم المصريَّة وخبر ميلاد المسيح وقصائد فيرابراس Fierabras (ثالثاً) قطع عبرانيَّة من صكوك ورسائل وعهود . (رابعاً) نُتف سامريَّة بينها تقويم للسنـة وفصول من الكتاب المقدَّس . (خامساً) اوراق ارمنيَّة اكثرها دينيَّة كمزامير

وصلوات وميامر وسير قديسين وادبيات ترتقي الى ما وراء القرن العاشر . ( سادساً ) قطع في اللغة الكرجيَّة لم تُقرأ بعد . ( سابعاً ) صحائف قبطيَّة منقولة عن الكتب المقدسة تاريخها القرن الحادي عشر . ( ثامناً ) عدة مقاطيع سريانيَّة من الترجمة البسيطة والطقوس . ( تاسعاً ) قطع عديدة يونانيَّة من القرن السادس الى الثامن بينها اوراق دينيَّة وادبيَّة شتَّى . من جملتها مزامير عربيَّة كُتبت بحرف يونانيّ سبق لنا وصفها مع اقوال من كتبة اليونان وشعرائهم . ( عاشراً ) صفائح من اللغة الآراميَّة الفلسطينيَّة منقولة من كتب العهد القديم ومن الاناجيل ومن رسائل القديس بولس بينها قطعة منسوبة لهُ ليس لها ثانٍ من شكلها

# أسئلة وأجوبة

س سأل مستفيد من اهل البلدة انَّ القاعدة الايمانيَّة عند النصارى انَّ الآب والابن والروح القدس متساوون بالجوهر والازليَّة والعلم وهلمَّ جرًّا ولقد جاء في انجيل مرقس (١٣ : ٣٢) انَّ الساعة لا يعلم بها احد ولا الابن الَّا الآب . وجاء في يوحنا (١٢ : ٤٤) انَّ الذي يؤمن بيسوع ليس يؤمن بهِ بل بالذي ارسلهُ . وكذا جاء فيهِ (٥ : ١٩) انَّ الابن لا يقدر ان يعمل شيئاً من نفسهِ الَّا ما ينظر الآب يعملهُ . وفيهِ (٧ : ١٧) انَّ تعليمهُ ليس لهُ بل للذي ارسلهُ . وفيهِ (٧ : ٤٠) انهُ انسان كلَّمهم بالحق الذي سمعهُ من الله . فكيف يثبت مع هذه الاقوال لاهوت المسيح وهو يصرّح انهُ مرسل يدعو الى الاله الواحد وانَّ ليس لهُ من الأمر شيء وان الله يعلم ما لا يعلمهُ وانهُ انسان

لاهوت المسيح

ج نجيب على هذه الاسئلة عموماً بانَّ هذه المشاكل تُحَل على وجه مرضٍ ان اعتبرتَ (اولاً) انَّ للمسيح طبيعتين الهيَّة وبشرية فينسب تارةً للواحدة ما لا يصحّ في الاخرى . (ثانياً) انَّ رسالة المسيح يجوز نسبتها للابن كاله وانسان معاً وهي لا تخلُّ بشرف اللاهوت ان نُسبت للابن كاله لانَّ الرسالة تكون ايضاً بين اشخاص متساوين بالسلطة . فهب ان ملكين يتَّفقان على انَّ احدهما يتوجَّه الى عمل فيمكنهُ القول انَّ الآخر ارسلهُ دون ان يكون في ذلك نقصٌ في رتبتهِ . (ثالثاً) انَّ المسيح من حيث هو مُرْسَل امكنهُ ان ينفي عن نفسهِ اموراً لا لكونهِ خالياً منها بل دلالةً على انَّهُ ليس لها علاقة مع رسالتهِ وليس بمفوَّض لتبليغها للبشر فمن هذا القبيل قولهُ بانَّ الساعة لا يعلم بها احد ولا الابن . فالابن وان كان عالماً بالساعة الَّا انهُ لم يُرسَل ليُعلم بها الناس . وذلك شأن السفير الذي وان علم بامرٍ يمكنهُ ان يقول انهُ يجهلهُ اذ لم يُرسَل للتفاوض فيهِ . (رابعاً) انَّ الابن مع كونهِ الهاً كالآب ليس هو المبدأ الاوَّل بل هو منبثق منذ الازل من الآب كالشعاع المنبثق من الشمس منذ اوَّل وجود الشمس . وعليهِ يمكنهُ ان ينسب للاب ما يفعلهُ وما ينطق بهِ وغايتهُ بذلك ان يدلَّ البشر على مصدر سلطتهِ وعلمهِ ومعجزاتهِ لأنهُ اخذ كل ذلك من الآب كما اخذ اللاهوت منذ الازل (راجع مقالة المشرق (٢ : ٢٤١) في لاهوت المسيح ل . ش